مصر تستقبل العذراء

سليمان نسيم







مصر تستقبل العذراء

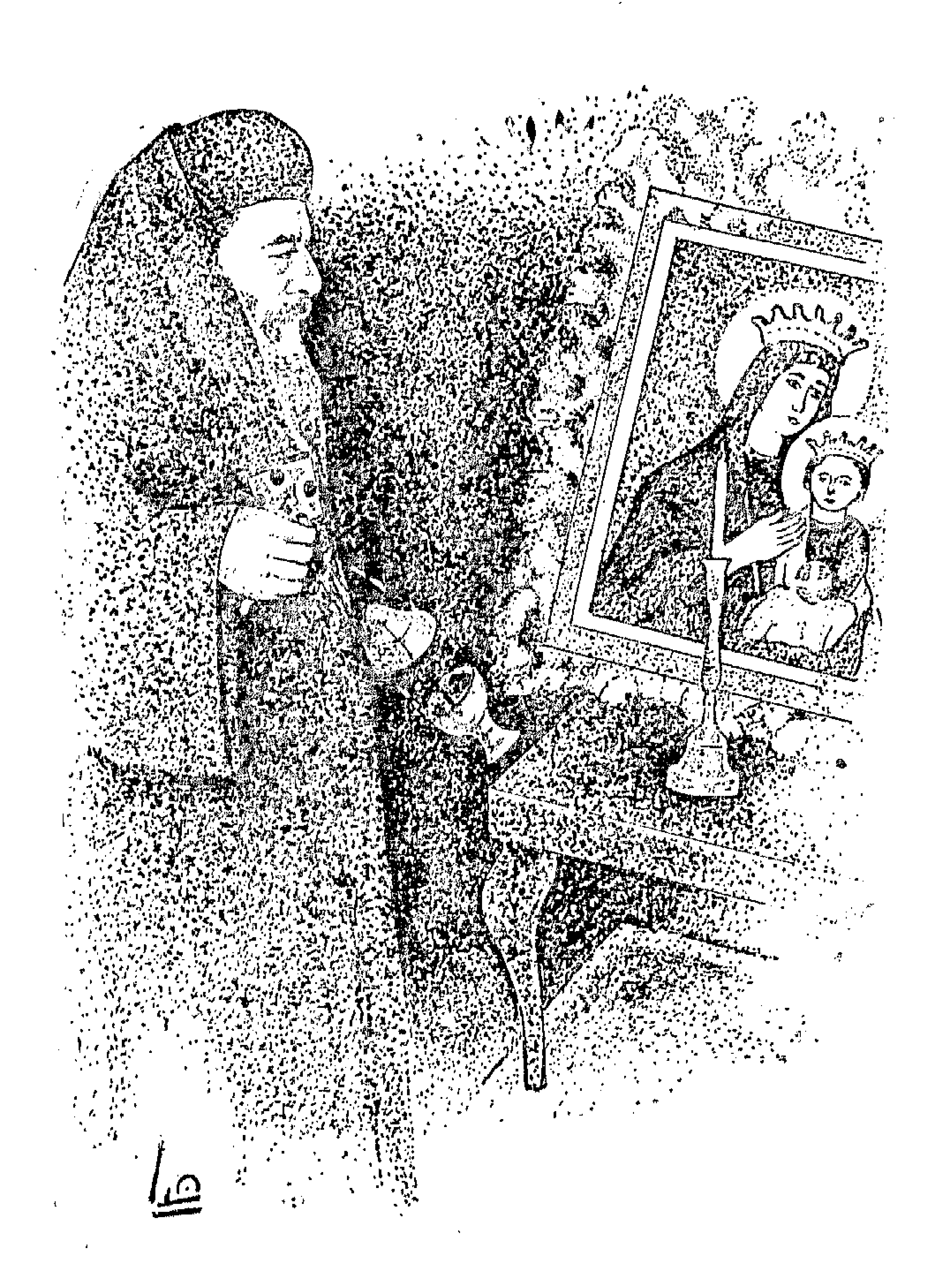
تاليف

سليمان نسيم

الناشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦



نتقدم بوفور الشكر وأخلصه
لصاحب النيافة الأنبا أغريغوريوس
أسقف البحث العلمى لتفضله بمراجعة
الكتاب ، والأنبا شنودة أسقف
التعليم للتقديم له .

تقديم بقلم حضرة صاحب النيافة الأنبا شنودة

أسقف الكلية الاكليريكية والمعاهد الدينية والتربية الكنسية

كان ظهور العذراء بمصر حدثاً عجيباً هز العالم ، ولفت الأنظار إلى الكنيسة القبطية وإيمانها الأرثوذكسي السليم . وكان أهم خبر تداولته الجرائد والمجلات ، وأصبح موضوع الساعة على كل لسان ، لأنه حادث فريد : إذ ظهرت العذراء القديسة لمئات الآلاف من الناس ، من مختلف المذاهب والأديان . واستمر ظهورها شهوراً عديدة ، وكان يستمر أحياناً فى المرة الواحدة لمدى بضع ساعات ، الأمر الذى لم يحدث من قبل فى أجيال التاريخ المتعاقبة ... كما كان مصحوباً بكثير من آيات الشفاء ، وبنهضة روحية عجيبة يسهر فيه الآلاف من الناس طول الليل فى صلوات وألحان وتراتيل واستماع إلى كلمة الله ...

ولما كان من الصعب على القارىء العادى أن يجمع أشتات تلك الأخبار المبعثرة فى الجرائد والمجلات وعلى شفاه الناس ، لذلك كان نافعاً أن يسجل كل ذلك فى كتاب .

وقد قام الأستاذ سليمان نسيم مشكوراً بهذا العمل .

ولم يكتف بهذا ، بل مهد للموضوع بمقدمة تاريخية وعقائدية ، وقدم حلولاً لبعض الاسئلة ، وردوداً على بعض الشكوك ، وتعليقات على الأحداث .

هل حقاً يظهر القديسون ؟ ثم لماذا تظهر العذراء فى مصر ولماذا فى حى الزيتون بالذات ؟ ومادلالة النور ؟ ومادلالة البخور ؟ وما الحكمة فى ذلك الظهور ؟ وما تفصيل النهضة الروحية ؟ كل ذلك قدم عنه الأستاذ سليمان إجابة وحلولا ، مع سرد لبعض المعجزات التى حدثت ، وتسجيل لأهم الروايات الموثوق بها وبخاصة من بعض الآباء الأساقفة ...

ومع أننى لم أر هذا الكتاب إلا فى الساعة الرابعة والعشرين ، حينما كان قد تم طبعه كله ما عدا اللزمة الأولى الخاصة بالمقدمة ، إلا أننى قرأته ، ورأيت أنه جمع بين القديم والحديث ، بين سيرة العذراء منذ ولادتها وظهورها الحالى فى أيامنا ... جمع فيما يختص بأمنا العذراء بين التاريخ واللاهوت والعقيدة والطقس ... بتسلسل لطيف فى طريقة العرض ، يأخذ فيها الكاتب بيدك خطوة خطوة ، حتى يوصلك فى سهولة ويسر إلى غرضه ...

نهنىء الأستاذ سليمان بكتابه هذا عن العذراء ، ونشكره على الجهد الذى بذله فيه ، وندعو له بالتوفيق . كما نشكر مكتبة المحبة على اهتمامها بنشره . ونرجو من الرب أن يستخدم هذا الكتاب لمجد اسمه بشفاعة والدة الاله القديسة العذراء وجميع القديسين ، آمين .

أغسطس ١٩٦٨ (صوم السيدة العذراء)

شنوده
أسقف المعاهد اللاهوتية والتربية الكنسية

المحتوى



سلاماً لك ياطاهرة ، يا أم النور ، التى أتت مع رب المجد إلى بلادنا فى القرن الأول زائرة ؛ فتباركت أرضنا بقدميهما ، وتساقطت الأوثان من أمام ابنها ، ثم ما لبثت أن نمت الفضيلة فوق أديمها ، وشق النور دياجير ظلامها ؛ فكان الحب وكان البذل وكان السلام .

وها أنت بعد نحو عشرين قرنا تتجلين لتطمئنى على شعبك أيتها الأم الحنون : إنه يتابع مسيرة الحب فى غير توقف ، وينمى عاطفة البذل فى غير قهر ، ويتجاوب مع دعوة السلام فى تقبل جدير بأولاد الله ...

وكما كانت زيارتك الأولى ، هكذا كانت الثانية بركة وشفاء وعزاء ؛ فاقبلى منى هذا الكتاب المتواضع ، واشفعى لأجلنا جميعاً أمام فادينا ابنك الحبيب أن يحفظنا كاملين أمامه بلا عيب، وأن يجعل لنا معه نصيب القديسين المخلدين فى سماء الحق الدائم . **آمين**

سليمان نسيم

الإهـــداء

ترى لمن أحب أن أهدى هذا الجهد ؟

أهديه إلى أسرة وديعة محبوبة تمثلت فيها الروح القبطية الأصيلة :
روح الأمانة والعبادة والتضحية .

أسرة المرحوم المربى الكبير كامل ميخائيل عبد السيد * وشقيقاته الثلاث مريم وشفيقة وايلين ، تلك الأسرة التى تمثلت فيها بحق روح الشهادة فى أروع وأوسع معانيها .

الشهـادة للحق	**ضميرا وحياة**
والشهادة للوطن	**وعيـا وعمـلا**
والشهادة للسماء	**رجاء ومصيرا**

(*) أحد رجالات البلد المعدودين خلال النصف الأول من هذا القرن العشرين ، الذين اتسموا بالعظمة الحقيقية . عاش معلما وكاتبا ، وتميز بشباب الفكر والإرادة . كرس حياته ، متبتلا دون زواج ، وماله وقدرته ، لخدمة وطنه وكنيسته ؛ فكان بحق أحد معلمي الجيل ، وعلى يديه تخرج العديد من قادة الفكر والسياسة والعلم . وكان الكتاب هو صديقه الأفضل فاقتنى مكتبة ضخمة تبرع بالعديد من محتوياتها لمكتبات المدارس والهيئات ، والباقى منها ، وهو لا يقل عن الـ ٤,٠٠٠ مجلد ، وهبه لمكتبة معهد الدراسات القبطية . وكان عضواً فى المجالس الملية المتعاقبة ، نخدم بحكم عمله كمعلم مجال المدرسة والتربية ومدارس الأحد وملجأ رئيس الملائكة ميخائيل بشبرا، وناضل بموهبته ككاتب ضد كل قوى الشر والانحراف فى الكنيسة والوطن. وفى هذه كلها كان مثال النزاهة والصدق والعفة والتجرد . رحمه الله أوسع رحمة . هذا وجدير بالذكر أنه فى أواخر أيامه ، وبعد انتقال شقيقاته الثلاث ، استضافته أسرة آل دوس أسرة المهندس روفائيل والدكتور ميخائيل والأستاذ غبريال دوس وأحاطوه بعناية الأبناء البررة لأبيهم الشيخ فكان منها عملا نبيلا جديرا بالتسجيل .

فكانت بحق الأسرة التي تبلور فيها تاريخ أمة هي في التاريخ أقدم من التاريخ نفسه .

* * *

نعم ، اليك أيها المعلم الفاضل ، يا واحدا من معلمي هذا الجيل وربابنته ورواده

الذين تلقينا عنهم الرأى الصريح المنزه عن الغرض والالتواء .

ورأينا فيهم الموقف تلو الموقف فإذا هو الشجاعة والصمود في وقت لاقت فيه الشجاعة ما لاقت .

وذلك على مدى خمسين عاماً متصلة [١٩١٥ — ١٩٦٥] لم يعقك خلالها مرض ، ولا حالت دونك شيخوخة .

اليك يا واحدا ممن كرسوا حياتهم بحق في رضا وبذل وقبول .

لخدمة الوطن عن طريق المدرسة والقلم .

وخدمة الكنيسة عن طريق الكتاب وابداء الرأى

وخدمة الانسانية ببناء الرجال ، ونحت العقول

وفي هده الميادين كلها رأيناك

تعيش فكرة

وتناضل مبدأ

وتنمو بركة وصلاحا

حتى قضيت مرفوع الهامة ، مكللا بالنور ، فكان لك جزاء المجاهدين الأبرار الصالحين .

من خلف ماض مشرق بالضياء

ومن أمام مجـــــد وعزاء وبهاء

* * *

إليك أيها الرجل العظيم ، فى نزاهته ، والوديع فى حكمته ، وإلى شقيقاتك العذارى الثلاث .

إليكم جميعاً فى عالم الحق ، ودار البقاء

أهدى سيرة العذراء

حبيبتكم وشفيعتكم

لعل فيها تحية حب ، ورمز تقدير وإكبار ، لماض ناصع ، وسيرة عطرة ، وكنيسة بيت عاشت متعففة متجردة للحق وبالحق وفى الحق فاستحقت أن تكون قدوة ومثالاً .

سليمان نسيم

كلمة الناشر

« أنت أعلا من الشاروبيم ،

واجل من السارافيم ،

بل إنك أفضل من سماء السماء ، لأن الذى على الشاروبيم أتى وتجسد منك .

طوباك أنت يا مريم الملكة أم الملك ، أسمها المكرم دائم كل حين فى أفواه المؤمنين صارخين قائلين « السلام لك يا مريم سلاماً مقدساً »

السلام للمكرمة أكثر من كل الأرض ،

السلام للسماء الجديدة الكائنة على الأرض ،

السلام للتى افتخر رؤساء الآباء بعظمتها

السلام للتى نطق الأنبياء بكرامتها

نسألك أن تطلبى عنا . . . . . »

. . . . . بهذه الأنشودة العذبة الجميلة ، وبغيرها من التماجيد الروحية الحلوة ، تترنم كنيستنا الخالدة بفضائل أمنا وسيدتنا كلنا مريم العذراء التى استحقت لفضائلها الرفيعة، وتناهيها فى الوداعة وإنكار الذات والحكمة الروحية ، أن تكون أما للاله المتجسد : النور الحقيقى الذى أتى وخلصنا : . . .

وكان ظهورها فوق قباب مذبح الكنيسة المعروفة بإسمها بحى الزيتون ، منذ إبريل الماضى ، بركة عظيمة للكثيرين ، بل وعملا كرازياً فريداً فى نوعه حمل صوتاً مدوياً إلى المؤمنين أن يثبتوا ، وإلى البعيدين أن يأتوا ، والتائبين أن يجاهدوا ، والنا كرين الملحدين أن يؤمنوا ، والذين سيطرت عليهم االديات أن كفا كم فالعالم يمضى وكل مافيه .

وكان أن فكرت مكتبة المحبة فى إصدار مؤلف خاص فى مناسبة هذا الحدث الذى لا نظير له — لتسجيل صورة قلمية واقعية — وشاركها هـذا التفكير الأستاذ سليمان نسيم مدرس أصول التربية بالكليتين اللاهوتية والا كليريكية ؛ فكان هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء الآن ، والذى نرجو أن يكون نفعا وبنيانا له وللمؤمنين جميعا من مختلف الأديان والشعوب الذين يُطَوَّبون حقاً إذ إستحقوا أن يعاصروا هـذا الظهور النادر بل أن يعاينوه، لا بل أن يعيشوه ، ويتذوقوه عزاء وسلاما وسط عالم مضطرب بالأحزان والمتاعب ، صاخب بأصوات الحرب والبلاء ، ثم أن ينقلوه إلى أولادهم بل وأن يشركوهم معهم فيه ليكون قلادة فى أعناقهم وخاتماً فى أيديهم ؛ كلما رأوه تذكروا مجد المخلص وأمه العذراء التى نطق الروح القدس على لسانها فى تسبحتها المشهورة « فهو ذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس » [لو ١ : ٤٨ ، ٤٩] .

وإذ تحقق غبطة البابا من هذا التجلى العظيم بواسطة بعض الآباء الأساقفة ، دعا إلى مؤتمر صحفى بعد ظهر السبت ٤ مايو أذاع فيه الخبر رسمياً وقد جاء فى هذا البيان التاريخى الهام :

منذ مساء يوم الثلاثاء ٢ إبريل ، سنة ١٩٦٨ الموافق ٢٤ برمهات سنة ١٦٨٤ ، توالى ظهور السيدة العذراء أم النور فى الكنيسة القبطية الاثوذكسية التى باسمها بشارع طومانباى بحى الزيتون بالقاهرة .

وكان هذا الظهور فى ليال مختلفة كثيرة لم تنته بعد، بأشكال مختلفة، فأحياناً بالجسم الكامل وأحياناً بنصفه العلوى ، تحيط بها هالة من النور المتلالىء ،وذلك تارة من فتحات القباب بسطح الكنيسة وأخرى خارج القباب ، وكانت تتحرك وتتمشى فوقها وتنحنى أمام الصليب فيضىء بنور باهر ، وتواجه المشاهدين وتباركهم بيديها وإيماءات رأسها المقدس ، كما ظهرت أحياناً بشكل جسم كما من سحاب ناصع أو بشكل نور يسبقه إنطلاق أشكال روحانية كالحمام شديد السرعة . وكان الظهور يستمر لفترة زمنية طويلة وصلت أحياناً ساعتين وربع كما فى فجر الثلاثاء ٣٠ إبريل سنة ١٩٦٨ الموافق ٢٢ برمودة سنة ١٦٨٤ حين إستمر شكلها الكامل المتلالىء من الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الساعة الخامسة صباحاً

وشاهد هذا الظهور آلاف عديدة من المواطنين من مختلف الأديان

والمذاهب ، ومن الأجانب ، ومن طوائف رجال الدين والعلم والمهن وسائر الفئات ، الذين قرروا بشكل يقين رؤيتهم لها ، وكانت الأعداد الغفيرة تتفق فى وصف المنظر الواحد بشكله وموقعه وزمانه بشهادات إجماعية تجعل ظهور السيدة العذراء أم النور فى هذه المنطقة ظهوراً متميزاً فى طابعه ، مرتقياً فى مستواه عن الحاجة إلى بيان أو تأكيد .

وصحب هذا الظهور أمران هامان : الأول إنتعاش روح الايمان بالله والعالم الآخر والقديسيين وإشراق نور معرفة الله على كثيرين كانوا بعيدين عنه ، مما أدى إلى توبة العديدين وتغير حياتهم . والثانى حدوث آيات باهرة من الشفاء المعجزى لكثيرين ثبت علمياً وبالشهادات الجماعية .

وقد قام المقر البابوى بجمع المعلومات عن كل ما سبق بواسطة أفراد ولجان من رجال الكهنوت الذين تقصوا الحقيقة وعاينوا بأنفسهم هذا الظهور ، وأثبتوا ذلك فى تقاريرهم التى رفعوها إلى قداسة البابا الأنبا كيرلس السادس .

والمقر البابوى إذ يصدر هذا البيان بقرر بملء الإيمان ، وعظيم الفرح ، وبالشكر الانسحاق أمام العزة الإلهية أن السيدة العذراء أم النور قد والت ظهورها بأشكال واضحة ثابتة فى ليال كثيرة مختلفة ، لفترات متفاوتة وصلت فى بعضها لأكثر من ساعتين بدون إنقطاع

وذلك إبتداء من مساء الثلاثاء ٢ إبريل سنة ١٩٦٨ الموافق ٢٤ برمهات سنة ١٦٨٤ حتى الآن ، بكنيسة السيدة العذراء القبطية الارثوذكسية بشارع طومانباى بحى الزيتون فى طريق المطرية بالقاهرة ، وهو الطريق الثابت تاريخياً أن العائلة المقدسة قد إجتازته فى تنقلاتها خلال إقامتها بمصر .

جعل الله هذه البركة رمز سلام للعالم ، ويمن لوطننا العزيز ، وشعبنا المبارك الذى سبق الوحى الالهى فنطق عنه :

« مبارك شعبى مصر »

ونظرا لقيمة هذا الظهور دينيا ، ولارتباطه بمنطقة هامة من المناطق التى مرت بها العائلة المقدسة فى مسارتها الخالدة ببلادنا فقد اهتمت وزارة السياحة بالأمر وأولته الكثير من العناية والدراسة ، خاصة والكنيسة المصرية تستعد لاستقبال رفات القديس مرقس الرسول عائدة من البندقية[1] فى ذكرى مرور ١٩٠٠ سنة على استشهاده ، لتوضع فى الكاتدرائية الجديدة التى شيدت باسمه فى أرض الأنبا رويس[2]

---

(١) وصلت مع وفد بابوى كبير من الكنسيتين القبطية والكاثوليكية بعد ظهر الإثنين ٢٤ يونية .

(٢) تم الافتتاح صباح الثلاثاء ٢٥ يونية سنة ١٩٦٨ .

فقد أصدرت بيانا هاما جاء فيه :

تعيش القاهرة فى هذه الأيام ولا حديث لسكانها إلا مريم العذراء وظهورها فوق قباب كنيسة الزيتون وما يصحب ذلك من معجزات . ألوف من البشر من كافة الأديان والملل ومن كافة الطبقات والمهن والحرف،أطفالا وشبابا وشيوخا، وحتى الكهول منهم راحوا يتحاملون على أقربائهم أو على عكاز خشبي، يملأون أربعة شوارع حول الكنيسة وعيونهم لاتفارق قباب الكنيسة فى انتظار ظهور مريم العذراء فى طيفها الشفاف .

مرات الظهور السابقة بالخارج

وظهور مريم العذراء اليوم ليس حدثا غريبا جديدا فى العالم بل لقد ظهرت ثلاث مرات من قبل ، مرة فى كنيسة مدينة لورد فى فرنسا ومرة فى قرية فاطيما بالبرتغال والمرة الثالثة فى مدينة القدس منذ عشر سنوات بدير الأقباط الأرثوذكس ، وفى الحالات الثلاث كان ظهورها للحظات قصيرة جدا كما كان ظهورها إما لفرد فى لحظة من لحظات الصفاء الروحى أو لعدد من الأفراد لايزيد عن أصابع اليد إذا لجأوا اليها فى صلواتهم يطلبون شفاعتها فى طلب العون أو الشفاء . كانت تتراءى لهم كالطيف العابر للحظة قصيرة من الوقت .

وفى مصر

أما فى مصر فقد ظهرت فى الزمان القديم — مرة لراعى كنيسة أتريب (بنها الحالية) أيام هارون الرشيد الخليفة العباسى الذى أرسل إلى والى مصر يطلب منه هدم الكنيسة فراح راعى الكنيسة يصلى ليل نهار لثلاثة أيام ضارعا كى لاتهدم الكنيسة ، وفى اليوم الثالث ظهرت له مريم العذراء ووعدته بالحصول على فرمان من الخليفة العباسى نفسه فى بغداد بعدم الهدم ، وتم ذلك فعلا فقد دخل من نافذة ديوان الخليفة طائر خطف الفرمان من أمام الخليفة حيث حمله إلى راعى الكنيسة فى مصر فى اليوم الثالث .

أما المرة الثانية فيقول التاريخ بأنها ظهرت أيام الخليفة المعز لدين الله الفاطمى أيام الأنبا إبرآم السريانى فى كنيسة المعلقة بمصر القديمة .

ظهور كامل شامل

أما ظهورها هذه الأيام بالقاهرة فيتميز بالوضوح التام . تظهر فى هالة من النور الربانى أمام الجماهير المحتشدة ، ولا يقتصر ظهورها على المسيحيين أو على طائفة منهم فحسب بل شملت جميع العقائد والطوائف والأديان على السواء .

يتكرر ظهورها عدة مرات من ليلة إلى أخرى ، ويقترن ظهورها بآيات من الإعجاز ، معجزات البر والشفاء ، كفيف البصر تفتحت عيناه على صورتها المضيئة والمريض الذى يئس من الشفاء استرد صحته وعافيته

والأخرس المحروم من النطق تيكلم منشدا ومرتلا الترانيم الروحية ممجدا وشاكرا لمريم العذراء جميل صنيعها له .

كيف بدأ ظهورها

كان بدء ظهورها مساء يوم الثلاثاء ٢ ابريل سنة ١٩٦٨ وكانت الساعة الثامنة والنصف مساء عندما كان السيد حسن عواد (بطاقة رقم ٢٣٢٨٩ قسم الجيزة) ومعه السيد مأمون عفيفي سائق (بطاقة رقم ٩٩٢٧ قسم السيدة) ومعه السيد ياقوت على ، وهم جميعا من العاملين بمؤسسة هيئة النقل العام بالزيتون ، كانوا وقوفا عند باب جراج المؤسسة المواجه لكنيسة العذراء بالزيتون. لفت نظرهم شعاع نورانى باهر ينبثق من فوق القبة الكبرى للكنيسة ، أحدقوا النظر مدققين فتبين لهم وجود فتاة متشحة بثياب بيضاء جاثية فوق القبة وبجوار الصليب الذى يعلوها ، إنه منظر غير مألوف ، ومما أثار دهشتهم واعجابهم أن جدار القبة مستدير وشديد الانحدار ويستحيل على أى إنسان الوقوف على القبة ، فتسمرت أقدامهم وغمرتهم الدهشة وراحو يرقبون مصير الفتاة .

مضت لحظات شاهدوا بعدها الفتاة الجاثية وقد وقفت فارتفعت الصيحات مخافة ان تسقط ، وتبادر لذهن البعض منهم أنها قد تكون فتاة تعتزم الانتحار ، صرخوا لنجدتها وابلغوا شرطة النجدة فجاء رجالها على عجل ، وتجمع المارة من النساء ومن الرجال وانضم إليهم عمال الجراج ورجال الشرطة ، الكل فى دهشة لهذا الحدث العجيب .

وأخذ شكل الفتاة يزداد وضوحا ويشتد ضياء ثم ظهرت الصورة واضحة تماما ، باهرة فى غلالة من النور الأبيض السماوى تتشح برداء أبيض وتمسك فى يدها بغصن أخضر من أغصان شجر الزيتون ثم فجأة دار وفجأة سرب من الحمام الأبيض من فوق رأسها .

وتذكرت بعض السيدات اللاتى تجمعن فى الطريق هذا المنظر ، أنه منظر مألوف لهن فى بعض الصور المتداولة لمريم العذراء ، فصرخن (دى ستنا مريم العذراء) عندئذ انطلقت أصوات الجماهير « بركاتك ياعذراء » ، وراح الكل يهلل ويكبر . منظر رائع خلاب بل هومشهد دينى مثير نابض بالتراتيل والصلوات والدعوات ، هذا يبكى فرحا وذلك يصلى ، وثالث يسجد ورابع يطلب شفاعة مريم للشفاء ، وفى هذا الجو انطلقت الزغاريد محيية أم النور مريم العذراء .

بعد تحطيم المصباح

أخذ البعض يفكر فى هذا الحدث وراحوا يستوضحونه مخافة أن يكون فى الأمر خداع ، خافوا أن يكون ذلك نتيجة لانعكاس أضواء مسلطة من مصابيح كهربائية على نوافذ الكنيسة الملونة . أرادوا أن يقطعوا الشك باليقين فسلطوا أضواء كاشفة على الصورة النورانية فازدادت تألقا وظهورا ، عمدوا إلى تحطيم المصابيح الكهربائية بالشارع والقريبة من الكنيسة فازداد ظهور مريم فى صورتها النورانية . لم يكتفوا بذلك

بل أطفأوا أنوار المنطقة كلها فبدت مريم العذراء فى نورها السماوى أكثر وضوحا وضياء ، عندئذ تأكد الجميع بأن الفتاة التى أمامهم هى من غير شك مريم العذراء .

وعلا التصفيق واشتد الصياح والتهليل والتكبير حتى شق عنان السماء... العذراء... العذراء... فانطلقت الحناجر تنشد وترتل وتصلى طوال الليل حتى فجر اليوم التالى .

اذاعة النبأ

ومع صباح اليوم التالى كانت الجموع قد تفرقت وكان النبأ قد سرى سريان البرق بين سكان القاهرة كلها ثم انتقل إلى بلاد القطر كله ، وحملته وكالات الأنباء للشرق والغرب ، وأذاعته الصحف والمجلات الغربية والاذاعات المختلفة ومحطات التليفزيون فى الخارج .

الجموع حول الكنيسة

وفى مساء يوم ٩ ابريل سنة ١٩٦٨ كانت الألوف من البشر قد تجمعت حول الكنيسة ، جماهير من كافة الأديان والملل ومن كافة الطبقات ومن كل المهن والحرف ، ومن كافة الأعمار شيبا وشبابا كبارا وصغارا ، رجال الدين والراهبات والرهبان والشمامسة بزيهم الدينى ، وكنت ترى وجوها أجنبية من السياح ورجال السلك الدبلوماسى ووكالات الأنباء الأجنبية والمصورين بآلاتهم ، الكل وقوف فى الشوارع المحيطة بالكنيسة طوال الليل فى انتظار ظهور مريم العذراء ، وعند مشارف ضاحية الزيتون وفى كافة الطرق المؤدية للكنيسة تصطف آلاف

السيارات فتسد المنافذ جميعها ، وتقطع الطريق حتى على المترجلين الذين قصدوا الكنيسة سيرا على الأقدام لتتغذى نفوسهم غذاء روحيا تقوية لإيمانهم .

كاهن الكنيسة يتكلم

وصرح القمص قسطنطين موسى كاهن كنيسة الزيتون بأنه شاهد مريم العذراء فى صورتها الواضحة مساء يوم ٩ أبريل سنة ١٩٦٨ وفى الساعة العاشرة مساء .

ومنذ يوم ٢ ابريل إلى الآن تمضى الجموع مساء كل يوم صوب الكنيسة وهى تطير فرحا . ترى الشيوخ يجدّون فى السير سراعا والعجائز يحثون الخطى خفاقا والحبالى يسرعن فى خطاهن وكأن قوة روحانية تشد اعوادهن ، أكثر من ٤٠ ألفا ترابط فى الشوارع المحيطة بالكنيسة منذ الغروب وحتى مطلع الفجر ، انظارهم جميعا معلقة فى اهتمام بالغ بالقباب الثلاث ، وما تكاد تشرق مريم العذراء عليهم بملامحها وملابسها البيضاء فى هالة من النور من خلال الظلام الداكن حتى تجد الجموع فى السير وقد غمرتهم الفرحة وارتسمت على وجوههم علامات السرور وقوة الإيمان ، وتنطلق الزغاريد وتنشد الاناشيد والتراتيل وهكذا تتكرر الصورة كل ليلة وقد بلغ ظهورها حتى اليوم عشرات المرات .

لجنة بابوية

واوفد قداسة البابا كيرلس السادس لجنة بابوية من رجال الأكليروس عاينوا الكنيسة وسهروا مع الناس القادمين من كل ركن لمشاهده العذراء ، ثم قدموا تقريرهم لغبطة البابا المعظم قالوا فيه :

« لقد ثبت للجنة ظهور العذراء وأنه ظهور حقيقى لا خداع فيه وأن كثيرين من الذين شاهدوها من المسلمين وهذه البقعة أصبحت مقدسة من اليوم لحلول مريم العذراء فيها وسوف تصبح مزاراً عالمياً يحج إليه الناس من كل الاديان ومن كل فج فى العالم .

وقد علق قداسة البابا على هذا الحدث بقوله : إنه بشير خير وعلامة سلام »

وبطريرك الكاثوليك

وقال غبطة الكاردينال أسطفانوس الأول بطريرك الكاثوليك :

« إنه ظهور حقيقى ولا يخامره فيه أى شك فقد أيده الكثيرون من ابنائه من الاقباط الكاثوليك ممن يوثق بهم وروا له تفاصيل رؤيتهم للعذراء فى الكنيسة كما جاءت إليه راهبة اسمها (بولا دى موفالو) معروفة بتحريها للدقة وروت وجسمها يرتعد وينتفض ، كيف انها شاهدت بعينها مريم العذراء فى قبة الكنيسة ، وليست هى وحدها التى شاهدتها بل لقد رآها الالوف من افراد الشعب ، إن هذه المعجزة

الفريدة تنطوى على رسالة تبشر بالخير وستجعل من هـذه الـكنيسة مزارا عالمياً مقدساً يحج إليه الناس من جميع انحاء العالم »

والأب عيروط

وصرح الاف عيروط مدير مدارس العائلة المقدسة بالقاهرة :

« ليس غريباً أن تظهر العذراء فى الـكنيسة القبطية الارثوذكسية بالزيتون ، إن ظهورها فى أية بقعة من بقاع العالم لايدعو إلى الدهشة فى هـذه الآونة بالذات وفى الـكنيسة القبطية بالزيتون فى المنطقة التى شهدت مرور العائلة المقدسة بها . وإنا لنرقب رسالة من هـذا الظهور الاعجازى فقد اقترن الظهور قديما وفى كل مرة فى البلاد الاخرى برسائل معينة املتها أو أوحت بها للذين ظهرت لهم .

لهذا أرادت بظهورها ان تعوض الذين حالت ظروف العدوان دون زيارتهم للأراضى المقدسة بيت المقدس عن هذا الحرمان »

الشفافية والخصوبة الروحية

وقال أحد الآباء ويشاركه فى رأيه الـكثيرون من رجال الدين بأن الرؤيا لا تتم بنفس الصورة أو بالوضوح للناس جميعاً بل إن الخصوبة الروحية والشفافية الدينية والإيمان العميل له دخل كبير في رؤية العذراء مريم ، إذ لوحظ أن من بين الحشد من يرى الصورة واضحة فى حين أن البعض الآخريرى نوراً فقط وثالث قدلا يرى شيئاً بل إن هناك شقيقين توأمين كانا يقفان يوم ٩ أبريل سنة ١٩٦٨ وظهرت لواحد منها كاملة

بينما لم ير الثانى إلا شعاعاً ضئيلاً . وقد لوحظ أن مريم العذراء تظهر فى وضوح تام بالصورة الوضاءة كاملة للاطفال لما هم عليه من طهر وشفافية وبعد عن ادران هذه الحياة الدنيا .

ومع ذلك فحتى الذين لم تتح لهم الرؤيا فإنهم يشاهدون مهرجاناً دينياً تنشد فيه التراتيم الروحية وتقام فيه الصلوات ، الجميع وقد انفعلوا بالمشاعر القدسية وباتوا يعللون الآمال برؤيتها من لحظة لأخرى ، ومع أنهم وقوف طوال الليل من الغروب حتى مطلع الفجر فإنهم لم يحسوا فيه بتعب أو عناء بل يعودون وقد إمتلأت قلوبهم بالراحة والرضاء والإيمان العميق .

بشير بالخير والسلام

ويفسر بعض رجال الاكليروس ظهورها بمدلولات عدة هى :

ظهرت مريم العذراء لشعب مصر المبارك لتعويض الحجاج المصريين عن حرمانهم من زيارة بيت المقدس بعد أن أغلق العدوان الأبواب فى وجهم . ظهر لهم النور السماوى لأنهم حرموا من نور القيامة المجيد فاحسوا بالعزاء يثلج ويطمئن نفوسهم .

وظهورها وفى يدها غصن من اغصان الزيتون بشير بالخير والسلام لمصر وللعالم كله والمعروف أن مريم العذراء زارت مصر ، واقترنت زيارتها بالبركة يوم قدمت تحمل الطفل يسوع على ذراعيها ، وهى إذ تزورها

اليوم فى الوقت الذى تقام فيه الكاتدرائية المرقسية الكبرى لتكرزها لاسيما وأنها ستضم رفات مرقس الرسول كاروز الديار المصرية أول من حمل مشعل المسيحية فى القرن الأول وهو الذى حطم الأوثان فى الديار المصرية .

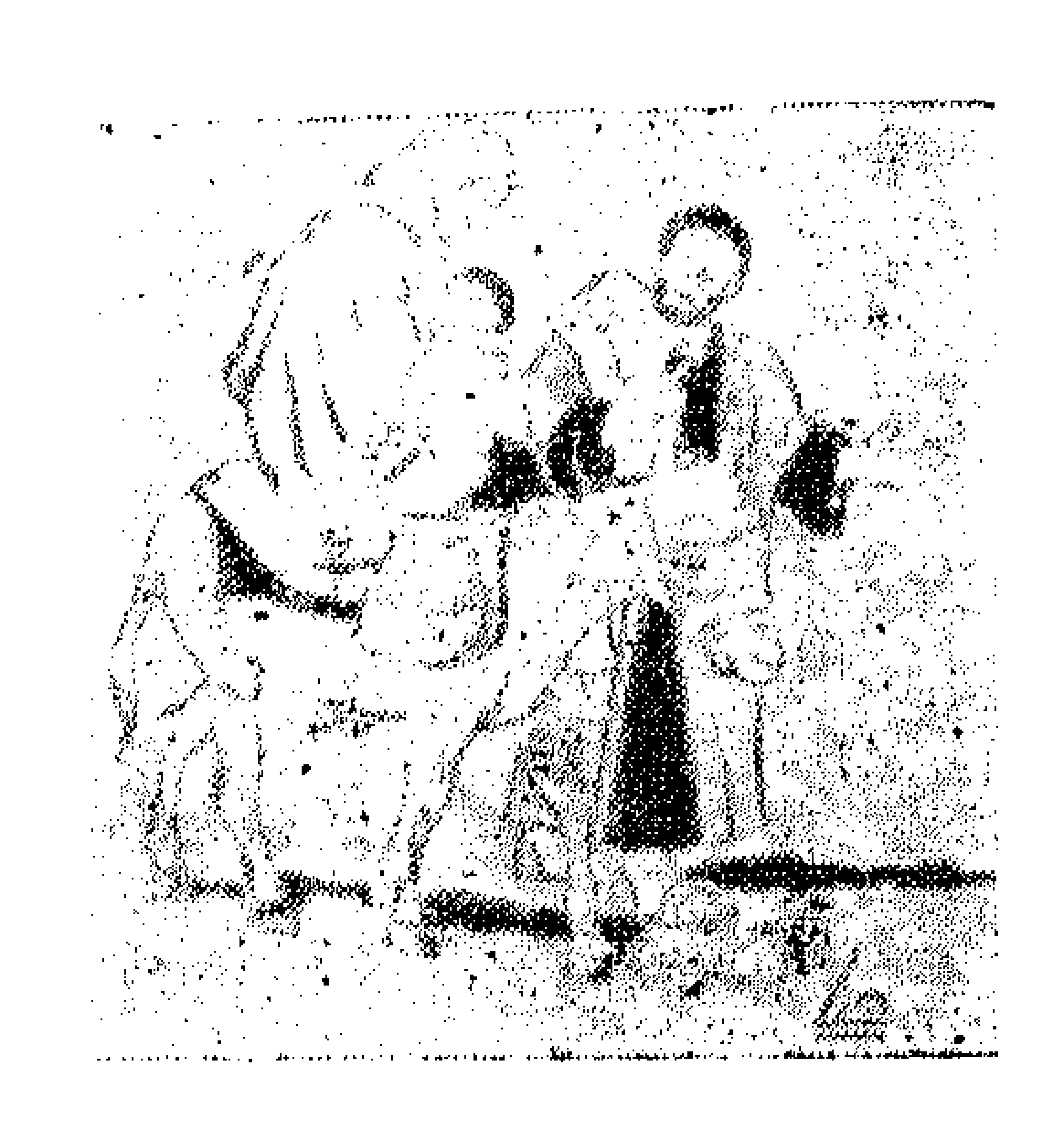
ومرت مريم العذراء بهذه المنطقة عند هروبها من بيت لحم وقد تكون قد استراحت فى هذا المكان وهى إذ تجىء اليوم فإنما إلى هذه الكنيسة التى اقيمت بإسمها لتصبح مزارا للحج . كما ينطوى هذا الظهور بالشرق بعد أن ظهرت فى الغرب على دلالة هامة ، إذ أن العذراء أرادت بذلك أن تبارك الرباط المقدس الذى سيربط كنائس الشرق بكنائس الغرب ايذانا بوحدة الكنيسة كما كانت فى القرون الأولى المسيحية » .

وقد عرض هذا البيان على قداسة البابا كيرلس السادس ، فاحاله إلى نيافة الأنبا اثناسيوس اسقف بنى سويف وبحضور القمص جرجس بشارة وكيل اللجنة البابوية لشئون الكنائس والقمص يوحنا عبد المسيح سكرتير اللجنة والأستاذ وليم فريد باسيلى مدير الاستعلامات بوزارة السياحة فدرست تفاصيله وتمت الموافقة على ما ورد به .

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب لنتصور السيدة العذراء تمد يدها بالبركة إليه كما امتدت من قبل لتبارك أرض مصر ، ولتؤكد

نبوءة الروح القدس الخالدة على لسان هوشع « من مصر دعوت ابنى »
وبعد ، فإننا مع اشعياء نشدو قائلين عن ثمار هذه الدعوة فى بلادنا
الحبيبة وكنيستها الخالد « غنوا للكرمة المشتهاة ، أنا الرب حارسها
أسقيها كل لحظة » ١ شع ٢٧ : ٢ ، ٣

مكتبة المحبة





تصدير

- المؤمن يعيش رؤيا دائمة
- مكانة القديسين فى كنيستنا

المؤمن الحقيقى يعيش رؤيا دائمة

المؤمن الحقيقى يعيش فى المسيح رؤيا دائمة . فالسماء دائما مفتوحة أمامه . وعربون الملكوت موجود فى داخله . يقول الرب : « ها ملكوت الله داخلكم » [لو ١٧ : ٢١]

ويقول أيضاً : « الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان» [يو١:٥١] . وكما بدأت البشارة بالمسيحية بظهور الملائكة ، وانفتاح السماء عن جمهورهم معلنين العظائم الثلاثة المرتبطة بميلاد الرب : المجد والسلام والعزاء ؛ هكذا كانت خاتمة حياة المسيح ، بصعوده أمامهم ثم ظهور ملاكين لتلاميذه الشاخصين وراء هذا المنظر السماوى العظيم ليعلنا أن «يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء » [أ ع ١ : ١٠ ، ١١] . فالبداية بشارة ، والنهاية بشارة وكلتاهما تحملان الحب والسلام والرجاء . ويعنى هذ أن تظل السماء محط رجائنا ومتجه أنظارنا ؛ إليها نتطلع ، ومنها نستلهم العزاء والنصرة إلى أن نرى يسوع مرة أخرى فى مجده .

لقد قال الرب فى إحدى صلواته « أيها الآب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضا » [يو ١٢ : ٢٧ ، ٢٨]

وهكذا ارتبط انفتاح السماء بتمجيد اسم الرب وربط الإنسان بسر الغلبة فى هذا الموقف نفسه أكد الرب هذا المعنى بقوله : « ليس من أجلى صار هذا الصوت بل من أجلكم . الآن دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً [يو ١٢ : ٣٠ ، ٣١]

وكانت الكرازة أعظم مجال تتضح فيه ثمار هذه الرؤى وهذه العلاقة بالسماء . فهوذا اسطفانوس بعد عظته الجهارية فى اليهود وكهنتهم ورؤسائهم « يشخص إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس « فرأى مجد الله ويسوع قائما عن يمين الله » واستمر هذا المنظر السماوى وهم يرجمونه وهو يقول : « أيها الرب يسوع أقبل روحى» [أ ع ٧ :٥٥-٥٨]

ولما زاد الاضطهاد على الكنيسة بواسطة شاول الطرسوسى ، وانطلق إلى دمشق ليسوق المسيحيين موثقين إلى اورشليم ، « حدث أن أبرق بغتة حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدنى » [أ ع ٩ : ٣ ، ٤]

وكان بولس بعد تغيره يحكى عن هذا المنظر قائلا : « رأيت فى نصف النهار فى الطريق نورا من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولى [أ ع ٢٦ : ١٣]

وكان حين يقارن بين سماء العهد القديم ، وسماء العهد الجديد يقول :

« لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار ، وإلى ضباب وظلام وزوبعة بل إلى مدينة الله الحى اورشليم السماوية إلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات وإلى أرواح أبرار مكملين» [عب ١٢ : ١٨ — ١٣]

وهذه هى التى عناها يوحنا الرائى حين وصفها قائلا : « ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة . لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا... وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا : هوذا مسكن الله مع الناس ، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم الها لهم » [رؤيا ٢١ : ١ — ٣]

هذه كلها ، وبركات أخرى كثيرة ، هى معطيات حب الله لنا فى عهد النعمة . يقول القديس يوحنا « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » [١ يو ٣ : ١]

ولذلك قدم لنا خبرته مع هذه المحبة وهذه البنوة بقوله : « الذى سمعناه . الذى رأيناه بعيوننا . الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ... الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى تكون لكم أيضا شركة معنا [١ يو ١ : ١ — ٣]

وهكذا تحقق خبرة القديسين تلامسا حيا ومباشرا مع محبة الله ، بل وتحقق ماهو أكثر من ذلك فعن طريق الشعور برؤيا الله وملكوته

فى باطن الإنسان يمتلىء رجاء روحيا عميقا وبه — كما يقول القديس يوحنا — « يطهر نفسه كما هو طاهر» [١ يو٣ : ٣] «ويطرح رئيس هذا العالم خارجا » [يو ١٢ : ٣١]

وهكذا تصبح محبة المؤمن لله مصدر تلامس ورؤيا وسر تطهير له ، كما تصبح منبعا روحيا لقوة الرجاء ، وللشهادة لعمل النعمة والإيمان أمام الآخرين... « هذا نخبركم به » ...

وكان أن استكملت أبعاد المحبة ، وعرف المؤمنون عن قرب ماهو العرض والطول والعمق والعلو... لقدعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة. عرفوها وهم فى الجسد ، لتكون لهم عربون مجد فى السماء ...

وإذ يحمل المؤمنون فى أجسادهم سمات الرب يسوع ، تصبح لهم الحاسة الدقيقة التى تستقبل مناظر السماء وأصواتها ، مقارنين الروحيات بالروحيات ، مميزين فكر المسيح لأنهم بعمل النعمة يستأسرون كل فكر لطاعة المسيح لأن الله — كما يقول القديس بولس — « الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة وجه الله فى وجه يسوع المسيح » [٢ كو ٤ : ٦]

وبأنواع وطرق كثيرة تعلن السماء رسالاتها للمؤمنين . للرعاة ظهر جمهور الملائكة[١] ، وللمجوس لمع نجم المشرق[٢] ، والمعمدان .

١ — لوقا ٢ : ٩ ٢ — متى ٢ : ٢

عرف أن الذى يعمده هو حمل الله من رؤية «الروح نازلا ومستقرا عليه مثل حمامة من السماء »[١]

أما بشارة ميلاد رب المجد ويوحنا المعمدان فقدتولاها رئيس الملائكة جبرائيل[٢] ، حتى إذا حانت بشارة القيامة تولاها ملائكة « يلبسون ثيابا بيض »[٣] وهكذا عند الصعود[٤] لكن قمة الرؤى بحق ظهرت فوق جبل طابور فقد تجلت رؤيا الرب فى مجد وبهاء عظيمين : لقد تغيرت هيئته ، وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور... ثم إذا بسحابة نيرة تظلل الموجودين وصوت منها يقول : هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت . له إسمعوا[٥]

أما فى العهد القديم فكان صوت الرب إلى أنبيائه يأتى مباشرة . آدم تفتحت عيناه على رؤيا نور الرب فى الفردوس ، وعلى رؤيا شجرة الحياة فى وسطة ، وتفتحت أذناه على سماع وصية الله[٦] .

ونوح سمع صوته منذرا ... ... « نهاية كل بشر قد أتت أمامى ... إياك قد وجدت بارا ...»[٧]

---

١ — يوحنا ١ : ٣٢ ، ٣٣
٢ — لوقا ١ ٣ — بو ٢٠ : ١٢ ٤ — أع ١ : ١٠
٥ — متى ١٧ : ١ — ٥ ٦ — تك ٢ : ١٥
٧ — تك ٧ : ١

أما رؤى الرب لابراهيم فما أكثرها لعل أشهرها وهو جالس عند بلوطات ممرا[١] ثم عندما هم بتقديم ابنه ذبيحة[٢]...

أما يعقوب فقد كانت له رؤيا السلم المنصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وملائكة الله صاعدة ونازلة عليها[٣]

فاذا تركنا رؤساء الآباء إلى الأنبياء وموسى على رأسهم وجدناه يرى رؤيا الرب فى جبل حوريب متمثلة فى عليقة مشتعله بالنار دون أن تحترق فقال: « أميل الأن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لاتحترق العليقة » ... [خر ٢ : ٢]

والملاحظ أن هؤلاء جميعا كانت تنتهى بهم الرؤى إلى بناء مذبح للرب. فالرؤى السماوية قرينة المذبح فى العهد القديم...

فنوح بعدما نجا من شر الطوفان « بنى مذبحا للرب » ...... ولما رفع عليه ذبيحة الشكر » تنسم الرب فى ذبيحته رائحة الرضا » [تك ٨ : ٢١]

وإبرهيم بعد وعد الرب له بأنه سيعطيه أرض كنعان ولنسله من بعده « بنى هناك مذبحا للرب » [تك ١٢ : ٧] فى بيت إيل

وكذلك يعقوب بعد أن رأى سلمه المشهور بكر فى الصباح وأخذ

---

١ — تك ١٨ : ١
٢ — تك ٢٢ : ١١
٣ — تك ٢٨ : ١٢
٤ — تك ٢٨ : ١٢

الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عمودا وصب زيتا على رأسه ودعا إسم ذلك المكان بيت إيل ونذر ... أن هذا الحجر الذى أقامه يكون بيتا لله ... [تك ٢٨ : ٢٢]

وعندما خرج بنو اسرائيل من مصر كان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضيء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا . لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا أمام الشعب [خر ١٣ : ٢١ — ٢٢] .

أما فى العهد الجديد فهى قرينة المسيح ، الذبيح نفسه ، كما حدث عند ظهور النجم للمجوس أو ظهور الملائكة وقت القيامة والصعود .

أما سفر الرؤيا فقد تحدث صراحة عن الخروف الذبيح والمجد المحيط به قائلا : « ورأيت فاذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح ...... ولما أخذ السفر خرت الأربعة حيوانات والأربعة والعشرون شيخا أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخورا هى صلوات القديسين وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت وإشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة » [رؤيا ٥ : ٦ — ٩]

وأقترنت رؤى السماء دائما بالنور والضياء اللامع ... فموسى لما نزل من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يده عند نزوله من الجبل لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع ... [خر ٢٤ : ٢٩]

كما أقترنت بوجود السحب ... ... ميثاق الرب مع نوح كانت علامته سحابة ... فقد قال الرب لنوح ... هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم ... وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر ... وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس فى السحاب أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد فمتى كانت القوس فى السحاب أبصرها لأذكر مثياقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض [تك ٩ : ١٢—١٦]

وكذلك فى قيادة بنى اسرائيل كان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود السحاب [خر ١٣ : ٥١] .

أما عند إكمال خيمة الاجتماع فقد « غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن [خر ٤٠ : ٤٣]

وبعد إنتقال موسى وأقتراب بنى اسرائيل من أرض الموعد « كانت السحابة تغطى المسكن — خيمة الشهادة عند إقامتها ... وفى المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح . هكذا كان دائما . السحابة تغطيه

ومنظر النار ليلا » [عدد ٩ : ١٥ ، ١٦] .

وحين نصل إلى تدشين الهيكل الذى بناه سليمان يقول مؤرخ سفر الملوك الأول : « وكان لما خرج الكهنة من القدس أن السحاب ملأ بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب » [ملوك أول ٨ : ١٠ ، ١١]

ولما تحدث أشعياء بروح النبوة عن مجيء الرب إلى مصر قال : « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر ويذوب قلب مصر داخلها [أشع ١٩ : ١]

وفى العهد الجديد نرى منظر السحابة على جبل التجلى (متى ١٧) وعند الصعود ، وكذلك عند المجيء الثانى أيضا [راجع أع ١ :٩] .

وقد عبر القديس بولس عن وجود القديسيين والملائكة حول المؤمنين بقوله : « لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود بمقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطيئة المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » [عب ١٢ : ١]

بعد هذا نختم هذا التصدير بأنه ليس للرؤى وقت أو زمن محدد . إننا فى ظلال عهد النعمة نحيا فى المسيح فى رؤيا دائمة . هى رؤيا المفديين بدم الحمل — الذين إنتقلوا من الظلمة إلى النور العجيب —

والذين يملأهم الفرح السماوى غير الموصوف. ومنذ إنتشار بشرى المسيحية وحتى مجىء الرب لم ولن تنقطع الرؤى عن المؤمنين . يرونها بأساليب وصور متباينة . تقويهم عند التجربة وترفع من درجة إيمانهم أو ترد لهم على المشكلات . فتلهمهم الحل الأمثل لها . فى القرن العاشر مثلا ظهرت العذراء مريم لسمعان الدباغ فى حادث جبل المقطم . فى القرن العشرين كان الأنبا ابرآم اسقف الفيوم يتراءى للمستشفعين به بعد انتقاله . فى يوم ٦ هاتور من كل عام تظهر سحب فوق الدير المحرق فى ذكرى تكريس كنيسة العذراء التى قامت محل المغارة التى أقامت بها فترة وجودها بديارنا. فى ذكرى عيد أبى مقار بديره المعروف باسمه بوادى النطرون ، وقد حضر أحد البابوات فى هذه الذكرى إلى الدير ، ظهر القديس العظيم بشيبته الوقورة فكانت رؤيا إلهية مباركة تماماً كما ظهر موسى وإيليا مع الرب فوق جبل طابور يوم التجلى ... أما مار جرجس ، والقديسة دميانة ، والقديس برسوم العريان ؛ فظهورهم فى مناسبات أعيادهم معروف للكثيرين .

ويقودنا هذا إلى التأمل فى مكانة القديسين فى كنيستنا الخالدة .

مكانة القديسين فى كنيستنا

يقول القديس أوغسطينوس « الكنيسة هى الطاقة التى نطل منها على السماء » والسماء لا يراها أو يدخلها إلا القديسون المفديون بدم الحمل، الذين عاشوا بالحق وللحق . ومن ثم فالكنيسة هى مجتمع القديسين . يقول القديس بطرس : بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة ، لأنه مكتوب « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » [ابط ١ : ١٥ ، ١٦] .

أما القديس بولس فيعتبر المؤمنين فى كل كنيسة قديسين . فى رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس يقول « إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس ، المقدسين فى المسيح يسوع المدعوين قديسين ... » [ا كو ١ : ١ ، ٢)

وكذلك فى رسالته الثانية للكنيسة نفسها حيث يقول « إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس مع القديسين أجمعين ... » [٢ كو ١ : ١] ...

وفى قداسة الحياة التى يحياها القديسون ، اكرام للرب القائل : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » [يو ١٤ : ١٥]

ومن هنا أعطت الكنيسة الأرثوذكسية المرتشدة بالروح القدس.

للقديسين المنتقلين مكانتهم وكرامتهم . إنهم ، كما يقول القديس بولس ، « سحابة من الشهود محيطة بنا » [عب ١٢ : ١]

ويسجل يوحنا الرائى عن احاطتهم بنا ، واشتراكهم فى الصلاة لأجلنا حين يذكر الأربعة والعشرين شيخا الجالسين حـــول عرش الرب فى السماء « وهم يمسكون بجامات من ذهب مملوءة بخورا هى صلوات القديسين » [رؤ ٥ : ٨]

أما علماء الـكنيسة وآباؤها ، فإن أحاديثهم دائماً عن الـكنيسة أنها « جماعة مزدوجة : الـكنيسة المنظورة ، والـكنيسة غير المنظورة[1] وأن المؤمنين حين يصلون إنما تشاركهم قوى أخرى غير منظورة »

لذلك تسلمنا عن الآباء فضيلة اكرام القديسين فنحن دائماً نستشفع بهم فى صلواتنا الفردية ، والجمهورية ؛ كما نسمى كنائسنا وأولادنا بأسمائهم ، ونخصص لهم أياماً نجعلها أعياداً لهم محددة على مدى العـام لنحتفى بهم ، ونقيم التماجيد لهم ، ونقرأ سيرهم لنقتدى بجهادهم ، بل

(1) Oulton·J. Alexanarian Christianity

من مجموعة Christian Classics — فيلادلفيا سنة ١٩٥٤ — ص ١٩٣

الفصل الخاص : On Prayer

الذى كتبه أوريجين

لخص بالعربية فى كتاب

تاريخ التربية القبطيه تأليف : سليمان نسيم

القاهرة — دار الـكرنك — سنة ١٩٦٣ ص١٥٢

إننا نعلق صورهم وأيقوناتهم ، ونوقـد أمامها الشموع تشبها بنور فضائلهم التى أنارت على العالم .

يقول الأب متى المسكين [١] «العبادة فى كنيستنا سواء فى القداس أوفى كافة الصلوات الأخرى تقوم على أساس اجتماع المؤمنين مع أرواح القديسين والأبرار والشهداء المنتقلين والملائكة والعذراء القديسةمريم. لذلك نرى على حجاب الهيكل الحامل للصورةصور هؤلاء جميعاً بدرجاتهم السماوية وكأنما الكنيسة قد احتجزت لهم الصف الأمامى لحضورهم على الدوام ، وجعلت ظهورهم جهة الشرق لأنهم لم يعودوا مثلنا ينتظرون بعد المسيح الآتى ، بل هم معه الآن كل حين ، وجعلت وجوههم نحونا لكى يعزونا ويؤازورونا ويتقبلوا توسلاتنا . وكما يتقدم الأب الكاهن إلى البطريرك أو المطران أو الكهنة المساعدين بالبخور ، وكذلك كافة الشعب فرداً فرداً ليشترك الجميع فى الصلوات، كذلك يسبق أولا ويتقدم إلى صور القديسين ويجمع منهم صلواتهم عنا ، باعتبار أن الكاهن مسئول عن جميع صلوات الكنيسة كلها المنتصرة والمجاهدة ، ثم يصعد إلى الهيكل ليقدمها أمام المذبح الالهى البديل المؤقت للمذبح الالهى الناطق السمائى »

العذراء القديسة مريم : ثيؤتوكس — من سلسلة دراسات فى التقليد الكنسى — الناشر : بيت التكريس بحلوان — القاهرة نوفبر سنة ١٩٦٧ — المقدمة — ص ١٤ .

وعلى مدى الليل والنهار تلهج كنيستنا بذكر هولاء القديسين . فى تحليل الآباء الكهنة مثلا تذكر الكنيسة صفاتهم قائلة فى ختام الصلاة : بشفاعة ذات الشفاعات . معدن الطهر والجود والبركات سيدتنا كلنا وفخر جنسنا العذراء البتول الذكية مرتمريم والشهيد الكريم مار مرقس الانجيلى الرسول الكاروز بالديار المصرية وكافة الملائكة والآباء والأنبياء ، والرسل ، والشهداء والقديسين والسواح والعباد والنساك والمجاهدين والذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة منذ آدم إلى آخر الدهور .. » *





وتذكرهم الكنيسة . بالتفصيل ، وبالأسماء فى :

١ — تحليل الخدام : حين يقول الأب الكاهن : أيها السيد الرب الاله ضابط الكل شافى نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ... ثم يتابع هذه

* الاجبية — تحليل الكهنة .

الطلبة كما جاءت فى صلاة ما بعد القسمة ليتهى إلى قوله ... عبيدك خدام هذا اليوم [ويذكرهم بالأسم] — الاكليروس — وكل الشعب وضعفى يكونون محاللين من فم الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس ومن فم الكنيسة الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية ، ومن أفواه الاثنى عشر رسولا ، ومن فم ناظر الاله الانجيلى مرقس الرسول الطاهر والشهيد والبطريرك القديس ساويرس ، ومعلمنا ديوسقورس ، والقديس أثنا سيوس الرسولى ، والقديس بطرس خاتم الشهداء رئيس الكهنة ، والقديس يوحنا فم الذهب ، والقديس كيرلس ، والقديس باسيليوس ، والقديس إغريغوريوس ، ومن أفواه الـ ٣١٨ المجتمعين بنيقية ، والـ ١٥٠ بمدينة القسطنطينية ، والـ ٢٠٠ بأفسس ومن فم أبينا المكرم رئيس الكهنة أبنا ... ومن فم حقارتى ... لأنه مبارك ومملوء مجدك اسمك القدوس أيها الآب والابن الروح القدس الآن وكل أوان...

وفى المجمع يصلى الأب الكاهن قائلا : « لأن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى تذكار قديسيك. تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء . آباءنا الأطهار رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والمبشرين والانجيليين والشهداء والمعترفين وكل أرواح الصديقين الذين كملوا فى الأيمان وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً العذراء العذراء كل حين والدة الاله القديسة الطاهرة مريم التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة...

... ثم يذكر أسماء القديسين كما جاءوا فى تحليل الخدام ...ويضيف

إليهم فى مقدمة قـــداس الموعوظين وبعد الرشومات يقول الشماس « اطلبوا لـكى يرحمنا الله ، ويسمعنا ، ويعيننا ويقبل سؤالات قديسية عنا فى كل حين ، ويجعلنا مستحقين لشركة وإصعاد أسراره المقدسة لمغفرة خطايانا »

وبعد ذكر الأب الكاهن لأسمائهم فى المجمع يرتل الشعب قائلا « بركاتهم المقدسة فلتكن معنا آمين — المجد لك يارب — يارب لك المجد — يارب ارحمم — يارب باركنا — يارب نيحهم آمين » ... وهكذا تضع الكنيسة القديسين موضع الكرامة وطلب الشفاعة ، كما تصلى عن نياحهم ، ليصلوا هم أيضاً عن أبنائها ، لتكتمل بذلك دائرة المحبة بين السماء والأرض . فتتحقق أكبر الفضائل التى علم بها الرب ... تتحقق المحبـــة وتـكتمل فى ذكر القديسين والاستشفاع بهم وطلب النياح لهم : الآباء البطاركة : القديس ثاؤدوسيوس وثاؤفيلس والقديس ديمـــتريوس رالقديس اغريفوريوس الناطق بالالهيات ، والقديس اغريغويوس الصانع العجائب والقديس اغريغوريوس الأرمنى .

ثم يذكر الآباء الرهبان ... أبانا الصديق العظم أنبا أنطونيوس ، والبار أنبا بولا ، والثلاث أنبا مقارات القديسين وجميع أولادهم لباس الصليب ... وأبانا أنبا يحنس القمص وأبانا أنبا بيشوى الرجل الـكامل ، حبيب مخلصنا الصالح وأبانا أنبا بولا الطموهى ، وحزقيال تلميذه ، وسيدى الأبوين القديسين الروميين مكسيموس ودوماديوس والـ ٤٩

شهيدا شيوخ شيهيت ، والقوى القديس أنباموسى ، ويحنس كاما القس . وأبانا أنبا دانيال القمص وأبانا أنبا ايسيذورس القس ، وأبانا أنبا شنودة رئيس المتوحدين ، وأنبا ويصا تلميذه ... ثم أسماء أعداد كثيرة من آباء البرية يعطى لبعضهم صفات حلوة... فالأنبا أرسانيوس الحليم معلم الملوك ، وأبانا أنبا بيسنتاؤس اللابس الروح ، والصديق العظيم أنبا برسوم العريان ... ويختمها بقوله : وكل مصاف قديسيك ، هؤلاء الذين بسؤالاتهم وطلباتهم ارحمنا كلنا معاً وانقذنا من أجل اسمك القدوس الذى دعى علينا ...

وكما تذكر الكنيسة أسماء هؤلاء القديسين تذكر أيضاً أسماء الملائكة. فعند رفع بخور باكر يصلى الأب الكاهن قائلا : الله يتراءف علينا ويباركنا ويظهر وجهه علينا ويرحمنا . يارب خلص شعبك . بارك ميراثك . ارعهم وارفعهم إلى الأبد . ارفع شأن المسيحيين بقوة الصليب المحيي بالسؤالات والطلبات التي تصنعها عنا كل حين سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم . والثلاثة العظماء المنيرون الأطهار ميخائيل ، وغبريال ورافائيل والأربعة حيوانات غير المتجسدين والأربعة والعشرون قسيساً وكل الطغمات السمائية . والقديس يوحنا المعمدان والمئة والأربعة والأربعون ألفا وسادتى الآباء الرسل والثلاثة فتية القديسين والقديس اسطفانوس وناظر الاله الانجيلى مرقس الرسول

القديس والشهيد والقديس جرجس والقديس تادرس وفيلو باتير مرقوريوس ، والقديس أنبا مينا وكل مصاف الشهداء ...

ثم يذكر آباء البرية ويختمها قائلا : وكل مصاف لباس الصليب والأبرار والصديقين وجميع العذارى الحكيمات وملاك هـذا اليوم المبارك ... وبركة والدة الاله القديسة الطاهرة مريم أولا وآخرا ... بركتهم المقدسة ونعمتهم وقوتهم وهيبتهم ومحبتهم ومعونتهم تكون معنا كلنا إلى الأبد آمين .

وحقا ما أشبه كنيستنا ببرج للمراقبة يتميز بأنه على جانب كبير من القدرة على متابعة السهر واليقظة وبأنه فى الوقت نفسه على درجة عظيمة من الوعى والانتباه . إنه يرصد أرواح القديسين وأسماءهم . يسجلها ، ويجعل من سيرهم وجهادهم وفضائلهم نموذجا ومثالا أمام المؤمنين .

بل إنها لتشبه جهاز استقبال حساس له القدرة على التقاط الصور والأصوات السمائية الدقيقة وتحويلها إلى نماذج روحية مشرقة وأنغام سمائية عذبة ينتشر صداها بين صفوف المؤمنين فى عباداتهم بل وسائر نواحى حياتهم ، « وعندما تلتقى الكنيسة المجاهدة بالكنيسة المنتصرة فى دائرة حب وعبادة وتمجيد ، وفى حياة شركة عميقة تحمل صورة كاملة لمعنى الكنيسة فى مفهومها الإلهى حسب منتهى مشيئة الله »

وفى تعاليمنا الآبائية الخالدة أن « كل قديس إنما يتقدس من الله »،

ولا يستطيع أحد أن يقدس أحدا . أما الرب القدوس فهو وحده الذى يقدس ويبرر كل أحد . ليس أحد وسيطا غير يسوع المسيح .

وإذا كان هؤلاء معتبرين قديسين لكن يسوع هو القدوس وحده وقدوس القديسين »[١]

وإذن فالكنيسة الأرثوذكسية إذ تطلب مؤازرتهم « فهى إنما تطلب حقا لها عندهم بصفتهم « كهنة لدى الله الآب والرب يسوع المسيح ، وبذلك لاتخرج قط عن دائرة الانجيل والحق» بل على العكس إننا — كمؤمنين — نزداد اقتراباً منه فبقدرما نقترب من القديسين نقترب من المسيح ، وبقدر ما نقترب من المسيح نقترب من القديسين بالضرورة » ... يقول القديس بولس : كونوا متمثلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح . [١ كو ١١ : ١] وراجع أيضاً [فيلبى ٣ : ١٧]

فالمؤمنون يتبعون معلميهم الذين يتمثلون بدورهم بربهم . يقول القديس بولس : « وما تعلمتوه وتسلمتوه وسمعتموه ورأيتموه فى فهذا افعلوا » [فيلبى ٤ : ٩]

أما مع تلميذه تيموثاوس فيوجهه توجيها مباشراً قائلاً

« تمسك بصورة الكلام الذى سمعته منى فى الإيمان والمحبة » [٢ تى ١ : ١٣] (وراجع أيضاً ٢تى٣ : ١٠)

---

(١) المرجع السابق نفسه للأب متى المسكين .

وهذه هي رسالة القديسين في العالم : السيرة والقدوة والتعليم الموصل إلى الرب . إنه منهج بناء النفس روحيا .

ولقد تمثل هذا المبدأ في قوله له المجد عن المرأة التي سكبت قارورة الطيب على قدميه « حيثما يكرز بالانجيل ينادى بما فعلته هذه المرأة تذكارا لها [متى ٢٦ : ١٣]

فكم وكم يفعل بالقديسين الذين دافعوا عن سر التثليث ، أو الذين استشهدوا في سبيل اعترافهم باسمه أمام الناس ، أو الذين خصوا أنفسهم لأجل الملكوت فتجردوا عن كل متع الجسد ، وحسبوا أنفسهم أمواتا عن العالم ؟ إنما هؤلاء وأولئك نفحات بخور طاهرة تتصاعد رائحة فضائلها فتعبق العالم بل وتطهره وتنقيه ... إنهم تلاميذ الرب الذين أحبوه.

يقول الرب ... « الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » [يو ١٤ : ٢١]

بل إن هؤلاء هم أغصانه الحية المثمرة « والغصن الذى يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر » [يو ١٥ : ٢] هكذا كان الخدام والقديسون يتكاثر ثمرهم ، وتنمو خدمتهم ، وتتسع مجالات البركة أمامهم ، فيزداد اقتراب المؤمنين بواسطتهم إلى حياة الخلاص والفضيلة ، ويضم الرب بواسطتهم كل يوم إلى الكنيسة الذين يخلصون .

الفصل الأول

مصر تستقبل العائلة المقدسة
فى القرن الأول



فى ٢٤ بشبس من كل عام — ويوافق اليوم الأول من يونية — تحتفل الكنيسة المصرية الأرثوذكسية بذكرى مجىء السيد المسيح إلى مصر مع مريم أمه ويوسف النجار . وتضع الكنيسة هذه الذكرى المقدسة ضمن أعيادها السيدية ، فتقيم القداسات والتماجيد ، ولاسيما فى الأماكن التى مرت بها العائلة المقدسة منذ وصولها إلى الفرما — على حدود مصر الشمالية الشرقية — حتى حطت رحالها فى المكان المعروف الآن بالدير المحرق ، بمديرية أسيوط ، على بعد نحو ٥٠٠ كم من رأس الدلتا حيث يلتقى فرعا النيل .

ويذكر التاريخ أن أخبار هذه الرحلة ظلت غير مسجلة حتى رأى البابا ثاؤفيلس — البابا الثالث والعشرون * فى تعداد بابوات الكنيسة الإسكندرية — رؤياه المشهوره التى أعلنت له فيها السيدة العذراء مراحل المسيرة وتلخص ، كما إحتفظ بها التقليد الكنسى ، فى أن العائلة المقدسة بعد وصولها إلى الفرما على حدود مصر الشمالية الشرقية [ومكانها بور فؤاد الآن] واصلت السير إلى تل بسطة [الزقازيق حاليا] بمديرية الشرقية ، ثم عبرت النيل إلى وسط الدلتا حيث مرت بسمنود لتعبر الفرع الغربى للنيل إلى وادى النطرون لتعود مرة أخرى

(*) ولى البطريركية من سنة ٣٧٦ م — سنة ٤٠٤ م

إلى رأس الدلتا ومنها إلى الصعيد عن طريق النيل مارة بجبل الطير [قرب سمالوط الحالية] ثم بالأشمونين ، إلى جبل درنكة حتى القوصية قرب أسيوط حيث يقع الدير المعروف باسمها ، والمعروف تقليدا باسم الدير المحرق ، ويضم الكنيسة الأثرية التى أقيمت مكان المغارة حيث نزلت العائلة المقدسة .

أما العودة فكانت من نفس الطريق تقريبا فمن أسيوط حتى منف [رأس الدلتا] بطريق النيل ،ومنها إلى المنطقة المعروفة حاليا باسم مصر القديمة حيث كنيسة القديس أبى سرجة التى بنيت فوق المغارة التى مكثت بها العائلة المقدسة فترة من الزمن فى طريقها إلى المطرية حيث توجد شجرتها المشهورة ، مارة بضاحية الزيتون التى بنيت بها الكنيسة المعروفة باسمها سنة ١٩٢٥ ، والتى ظهرت فوق قباب مذبحها أخيرا . والمرجح أنها استراحت بها بعض الوقت تباركت خلالها هذه المنطقة كما تباركت سائر المناطق التى مرت بها . ومن المطرية إلى مسطرد إلى إتريب إلى طريق الشرق الذى وصل بها إلى الحدود الشمالية الشرقية مرة أخرى لتنفذ منها إلى اليهودية حيث علم يوسف النجار « أن أرخيلاوس يملك عليها عقب موت هيرودس أبيه وإذ أوحى إليه فى حلم أنصرف وإلى نواحى الجليل وأتى وسكن فى مدينة الناصرة لكى يتم ماقيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا » [متى ٢ : ٢٢ ، ٢٣]

وفى كتاب التماجيد المقدسة(١)

وفى كتاب التماجيد المقدسة ، تمجد الكنيسة دخول السيد المسيح أرض مصر قائلة « الله الممجد فى مشورة القديسين، الجالس على الشاروبيم نظروه فى كورة مصر .

الذى خلق السماء والأرض ، رأيناه كصالح فى حضن مريم السماء الجديدة مع البار يوسف الصديق .

المسيح الممجد من الملائكة فى كورة مصر جاء اليوم ليخلصنا نحن شعبه ، افرحوا وتهللوا يا أهل مصر وجميع تخومها ، لأنه أتى إليك محب البشر الكائن قبل الدهور .

اشعياء العظيم يقول إن الرب يأتى إلى مصر فى سحابة خفيفة وهو ملك السماء والأرض .

فلنسبح المسيح الخالق الذى افتقدنا نحن شعبه هو جاء إلى مصر فى سحابة حقيقية التى هى مريم أمه الملكة ...

المسيح مخلصنا محمول على ذراعيها أهلك مصنوعات أيدى المصرين فطهر أرضنا منها .

الكائن قبل كل الدهور فى مصر اليوم ورأينا مجده .

---

(١) عنى بطبعه القس دوما ديوس البرموسى — القاهرة سنة ١٩٢٢ م — سنة ١٦٣٨ ش — ص ٧٢

صانع السموات وجنودها أتى إلى مصر فى حضن مريم .

افرحى وتهللى اليوم يا كورة مصر لأنه أتى إليك ملك المسيح محب البشر . فلنسبحه ونرفع اسمه ، ونشكره لأن رحمته ثابتة إلى الأبد .

بشفاعات والدة الآله القديسة مريم يارب أنعم لنا بغفران خطايانا...

ومما جاء فى التقليد أنه عند مرور العائلة المقدسة بقرب المعابد الوثنية ، اليونانية والرومانية ، كانت الأوثان تتساقط ؛ فتحققت بذلك نبوءة اشعياء القائلة « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها » ولا شك أن دهشة بالغة كانت تعترى كهنة تلك المعابد والمترددين عليها فيحاولون عبثاً البحث عن السبب دون جدوى ، إذلا يلحظون شيئاً جديداً سوى مرور أسرة متواضعة قوامها أم وطفلها على دابة يقودها رجل عليه سمات السلام والوداعة ...

لقد كانت هذه الأسرة المقدسة هى بشير إعادة الصلة بين فكرين ذوى محور واحد : الفكر الدينى المصرى القديم والفكر المسيحى الجديد. لقد كانت هذه الأوثان اليونانية والرومانية غريبة على معابد مصر ومقدساتها وعقائدها التى كانت قد اكتشفت الوحدانية فى الألوهة على عهد إخناتون فى القرن الرابع عشر ق. م.

بل إن هذه الأوثان كانت غريبة على الفكر الدينى المصرى ككل

بعد أن تمكن من بلورة عقائده على مدى ألفين من السنين في عقيدة آتون التي نادت بوحدانية الآله .

وخلال تلك السنين الطويلة انشغل العقل المصرى بالبحث عن أسرار الألوهة والخلود وحيــاة ما بعد الموت ؛ ولقد كان لنجاحه فى الكشف عن الكثير من غوامض هذه الأسرار آثاره البالغة على سلوك المصريين وأخلاقهم فأصبحت لهم مجموعة من القيم السامية ، حتى لنستطيع فى يقين أن نقول بأن تلك الحضارة الشامخة والتى انتظمت مختلف نواحى الحياة العلمية والسياسية والأدبية والفنية والاجتماعية إنما قامت على تلك الأسس الدينية العميقة والقيم الخلقية الرفيعة التى يمكن اعتبارها بحق مقدمة طبيعة لمجىء المسيح إلى مصر ، وقيام مذبحه المقدس وسط هذا الشعب العريق .

ومن المعروف تاريخياً أن آخر فرعون مصرى هو ابسماتيك فى السابع ق . م ومن بعده تتابع الغزاة : الأشوريون فالفرس فاليونان فالرومان وقد حاولوا أن يزجوا بعباداتهم ووثنيتهم فى فكرنا الدينى العريق ، لكنه سرعان ما لفظها رغم عديد محاولاتهم لدمج آلهتهم مع الآلهة المصرية ، بل لقد وصل الأمر بهم ، تقرباً إلى المصريين ، أن تظاهروا باحترام آلهتنا وعبادتها لكن فى غير جدوى . لم يقبلهم المصريون من كل النواحى : حكماً وثقافة وعبادة ، وأعتبرت مصر لذلك مقبرة الغزاة .

وكأن العناية الالهية فى رفيع حكمتها ، وسامى تدبيرها ، كانت ترقب هذه الآلهة الغريبة ولا تريد ان تسمح لها أن تلوث هذا الفكر الدينى النقى الذى لم يعرف الوثنية إلا لماما ، وتحت ظروف الضعف السياسى او الإنهيار الاقتصادى والاجتماعى وهى ظروف سرعان ما كان المصريون يعبرونها ، وهى على أى الأحوال ظروف لم يخل منها تاريخ أى شعب ؛ فكانت زيارة العائلة المقدسة لمصر وصلا وإتصالا جديداً بين عقيدة الوحدانية الأولى ، وبين الوحدانية المسيحية ، وبذلك عادت لعقائدنا نقاوتها وأصالتها ولم يكد يمضى ستون عاماً على زيارة العائلة المقدسة حتى كان كاروزنا العظيم ، وصاحب أول إنجيل مكتوب فى العهد الجديد ، يخطو فى حراسة الروح القدس خطواته الأولى فى مدينة الاسكندرية مبشراً برسالة الفرح والفداء والخلاص ، ناشراً لنور الحق الذى مالبث أن سطع على أرجاء الوادى كلها ، وإذ بالأمكنة التى مرت بها العائلة المقدسة تتقدس وتتبارك فمصر القديمة تصبح مركزاً للعديد من الكنائس ، بل وتصبح فى عصر من العصور مقراً للأب البطريرك ، وكثيراً ماحدث بها على ذلك العهد بعض المعجزات (*) ، كمعجزة تحريك المقطم فى أيام حكم الخليفة المعز فى القرن العاشر ، وهى المعجزة التى تراءت فيها

---

* أذكر أن الأستاذ حبيب جرجس — عميد الاكليريكية — كان معنا يوما فى رحلة الى مصر القديمة فقال لنا بأسلوبه العميق «هذه مصر االقديمة وتحت كل حجر من أحجارها توجد عظام شهيد وذلك إشارة الى مكانتها كمركز مسيحى كبير ...

العذراء لمؤمن شاب هو سمعان الدباغ تخبره بأن الجبل سيتحرك ، وأن عليه توصيل هذه الرسالة إلى الأب البطريرك أبرآم السريانى ...

وكذلك وادى النطرون الذى أصبح من أعظم مراكز النسك والعبادة ، ثم على طول شاطئ النيل ، شرقاً وغرباً ، قامت الكنائس والأديرة ، ترتفع منها أصوات العبادة والترتيل ، وتطرد آثار العبادات الوثنية الدخيلة ، وكما كانت مصر فى عصور الفراعنة مركزاً دينيا يأتيه طلاب المعروفة من سائر الأقطار ليتتلمذوا عند أقدام كهنتنا ، وفى رحاب علومنا ونظمنا وطقوسنا ، هكذا أصبحت أديرتنا وكنائسنا ومعابدنا ، فى العصر المسيحى ، مراكز لطلاب الفضيلة ، يحجون إليها من كل حدب وصوب ليأخذوا عن خلفاء مار مرقس وتلاميذهم حب الخلوة ، وطرق الجهاد الروحى ، بالإضافة إلى العلم الروحى المصفى ليس فقط من خلال التعمق فى فهم كلمة الله ، وإنما أيضاً من خلال الحياة النسكية المتجردة والمتفانية فى الحب والبذل حتى لقد عُرفت الاسكندرية فى العصر المسيحى بأنها أورشليم الثانية ، وعقل العالم المسيحى ، وأطلق لقب بابا لأول مرة على أسقفها ، بل لقد عُرف بأنه قاضى المسكونة ، وثالث عشر رسل المسيح ؛ وإذ بهذه الكنيسة العريقة ، التى تنتمى إلى أمة تعتبر أقدم من التاريخ نفسه ، تقدم للعالم الراعى والمعلم والأسقف والناسك والشهيد والكارز ، وتقدم فى كل منهم نموذجاً رائعاً

لفاعلية الروح ، وعمل النعمة وصورة متكاملة للحق والنور الذى بربنا يسوع المسيح .

وبالإضافة إلى ذلك فهى الكنيسة التى وقفت كخط دفاع أمام الهراطقة والمبتدعين، والتى كان لها من تمرسها فى مناقشتهم القدرة على صياغة قانون الإيمان ، ومقدمة قانون الإيمان ، ويعتبر نقطة البدء فى الإيمان المسيحى . لقد نقلت هذه الكنيسة الفكر الإنسانى لأول مرة من مجرد فكر فلسفى إلى فكر لاهوتى ...

ولما آن وقت التضحية والاستشهاد لم تتأخر كنيستنا عن أن تقدم أعز من لديها على مذبح التضحية حتى قيل إن أعداد الشهداء المصريين زاد عن عدد شهداء العالم المسيحى وقتئذاك ...

هكذا كانت زيارة الأسرة المقدسة لبلادنا فجراً جديداً شع بالنور على شعبنا، وأفقاً روحياً أحاط بتاريخنا ، فنمت شخصيتنا المعنوية وأصبحت كنيستنا بحق هى القائدة وهى المعلمة وهى الرائدة ، كما أصبح مذبحها ، ولايزال ، مركز الحماية لبلادنا ، حتى عصرنا الحاضر ، وبذلك تحققت نبوءة أشعياء « فى ذلك اليوم يكون مذبح وسط أرض مصر ، وعمود للرب عند تخمها فيكون علامة وشهادة لرب الجنود ، فى أرض مصر ، لأنهم يصرخون إلى الرب بسبب المضايقين ، فيرسل لهم مخلصا ، ومحاميا وينقذهم ، فيُعرف الربَ فى مصر ،

ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ، ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذراً ويوفون به ...» [إش ١٩ : ١٩ — ٢٢]

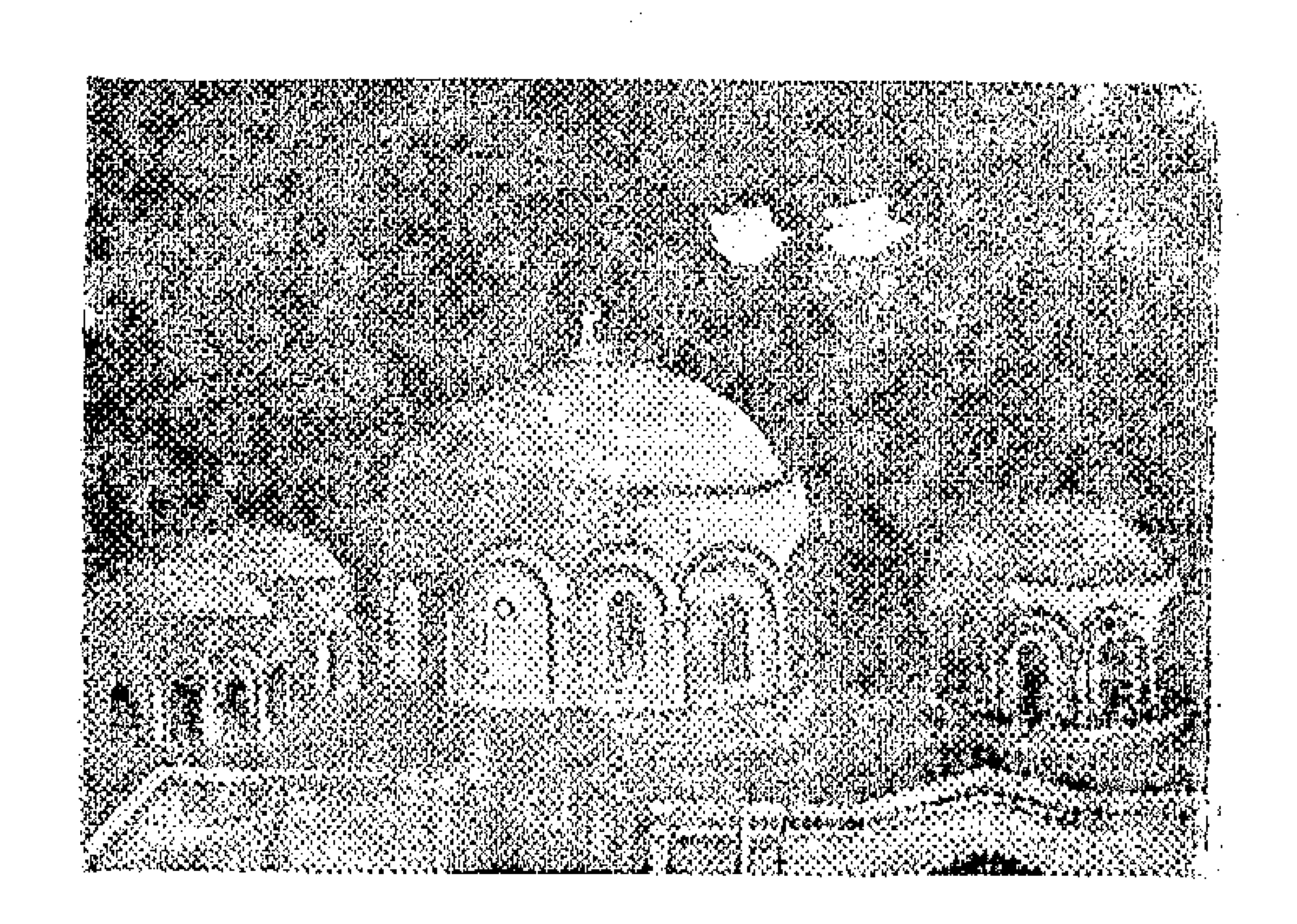
أما الذبيحة فمعروفة : إنها بلاشك جسد الرب ودمه ، وأما الضربة فهى ترمز لشتى أنواع المحن التى تعرض لها شعبنا على طول التاريخ ، والتى كانت تمتد بعدها يد الرب فتشفى وتنقذ ... أليس اعتراف الدولة الرومانية بالمسيحية أوائل القرن الرابع مثلا وبعد اضطهادها لها ثلاثة قرون متتالية معجزة شفاء خارقة ؟ بل أليس بقاء الكنيسة ذاتها عبر صعوبات العصور ، وما أقساها ، هو فى حد ذاته معجزة المعجزات ؟؟

إنها بركات زيارة العائلة المقدسة ولاشك، وهى الزيارة التى اختصت بها بلادنا فكانت رحمة وبركة وكانت عزاء وسلاماً ، ومن بركاتها ولاشك ظهور العذراء فى ضاحية الزيتون التى مرت بها يوما وهى تحمل الرب يسوع هاربة من وجه الشر ، وجاء هذا الظهور فى مرحلة من أدق مراحلنا التاريخية ، مشجعاً ومقوياً ورافعا لمعنوياتنا ، ولعل هذا يستحق منا لدراسته فى وفاء أن نفرد له الفصل التالى ...

الفصل الثانى

العذراء تزور بلادنا فى القرن العشرين

- سيرة العذراء
- مكانة العذراء فى كنيستنا
- تجلى العذراء ودلالات هذا التجلى



سيرة العذراء

تتواتر عن التقليد الرواية الآتية وهى مؤكدة إذ لم تظهر سواها حتى الآن .

يواقيم وحنة والدا القديسة مريم ؛ حتى شيخوختهما لم يرزقا بنسل . فتعهدا بأنه إن أتاهما نسل فهما ينذرانه لخدمة بيت المقدس .

وحقق لهما الرب امنيتهما ورزقا بطفلة أسمياها مريم . ما أن بلغت العام الثالث من عمرها حتى قدماها للهيكل كوعدهما ونذرهما .

فى سن الحادية عشرة كان والداها قد توفيا . وفى سن الرابعة عشرة خطبت ليوسف النجار بمشورة كهنة الهيكل وفى مقدمتهم زكريا زوج اليصابات .

وتقول الرواية إن ملاك الرب قد أمر زكريا قائلا إجمع شيوخ وشبان يهوذا وخذ عصيهم واكتب على كل منها اسم صاحبها والتى تظهر منها علامة يكون صاحبها هو المختار لمريم ففعل زكريا كما أمره الملاك . وعند تسليم العصى لأربابها ظهرت من عصا يوسف حمامة استقرت على رأسه فسلم زكريا مريم له قائلا : خذها واحفظها عندك لتكون لك امرأة . فأطاع يوسف الأمر ، وسجد قدام الكهنة ،

فأخذ زكريا بيمين مريم الطاهرة ووضعهـا فى يمين يوسف وقال له :
«يا يوسف انظر إنك من بيت الرب المقدس أخذت هذه الابنة والله تعالى
هو الشاهد عليك » وصلى عليه الكاهن الصلاة التى يتطلبها الطقس ثم
منحها البركة . ومن تلك الساعة أخذها يوسف إلى بيته .

يقول الكتاب المقدس « وقبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح
القدس » [متى ١ : ١٨]

وتفسير هذا الوضع أن مريم العذراء كانت أمام الناس والمجتمع
زوجة شرعية فالإنجيل يذكر عنها أن «يوسف رجلها» [متى ١ : ١٩]
ولما صعدا للاكتتاب سجل القديس لوقا « ليكتتب مع مريم امرأته »
[لو٢ : ٤]

ثم كيف يهم بتخليتها سراً دون أن يكون قد اتخذ منها زوجة فعلا ؟؟

لقد دبرت العناية الالهية أن تكون القديسة مريم زوجة وامرأة
رجل معروف لئلا يظنها اليهود زانية فيحكموا عليها بالرجم كما تنص
بذلك شريعة موسى .

ولابد أن القديسة مريم قد نذرت كمال التعفف قبل زواجها .
ولابد أنها كشفت ذلك ليوسف فقبله . لأنه كان بارا . يقول القديس
متى « فيوسف إذ كان بارا » [مت ١ : ١٩]

مريم العذراء فى الكتاب المقدس

فى منزل يوسف النجار جاءها رئيس الملائكة جبرائيل ... وطبقاً لحساب كنيستنا كان ذلك يوم ٢٩ برمهات .

السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ... الرب معك ... مباركة أنت فى السماء ...

فاضطربت مريم من كلامه ، وماعسى أن تكون هذه التحية فقال لها الملاك : « لاتخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ... وها أنت ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى . ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ... ولا يكون لملكه نهاية [لو ١ : ٣٠—٣٣]

وفى اتضاع ودهشة تساءلت :

« كيف يكون لى هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ »

فأجابها الملاك : « الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله »

فقالت مريم : هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك، وبتقبلها هذه البشارة بروح الطاعة والإيمان والتسليم حل عليها الروح القدس فعلا ، وطهرها ، وقدسها ، وأعدها لتكون مسكناً لحلول ملء اللاهوت جسدياً .

وبذلك تحقق قول إشعياء فى القديم ... « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » [إش ٧ : ١٤]

زيارتها لأليصابات : « فبعد أن سمعت أليصابات سلام مريم امتلأت من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت : « مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك . فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ ... فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب » [لو ١ : ٤٤ — ٤٥]

منذ هذا النطق ، والعذراء تُعرف بأنها والدة الاله كقول الروح القدس على لسان اليصابات : « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ » ؟ أى أن هذه التسمية ليست لقباً للعذراء وإنما عقيدة لاهوتية تخص طبيعة المسيح المولود . واستلزم هذا بالضرورة أن تكون دائمة البتولية.

فكيان المسيح الالهى وحالةطهارته وبتوليته الفائقة عن الوصف ، وهو ابن ، تستلزم أمومة مشابهة بصورة ما على أى حال . وقد أطلق عليها الآباء « بتولية غير منحلة » — كما تقول إحدى الثيئوتوكيات :

« دعيت أم الله الملك الحقيقى وبعد ما ولدته بقيت عذراء بأمر عجيب »
[السبت — القطعة ٤٧]

وفى ثيئوتوكية الثلاثاء — «عالية هى الأعجوبة التى لحبلها وولادتها. هذا شىء يفوق النطق. عظيم هو مجد بتوليتك يامريم العذراء الكاملة » *

ونلاحظ أن مريم تميزت باستمرار بسلوكها الايمانى ، فى وداعة متناهية وطاعة تامة .

فى حادث لقائها مع يسوع فى الهيكل قالت له « يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين » فقال لها « لماذا كنتما تطلبانى ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لأبى » [لو ٢ : ٤٨—٤٩]

وبعد ذلك نلتقى بالعذراء فى عرس قانا الجليل [يو ٢] وقد جاءها أصحاب العرس ليعلموها أن الخمر قد فرغت . فلما تشفعت لديه عادت إلى الخدام قائلة فى إيمان كامل : « مهما قال لكم فافعلوه » [يو ٢ : ٥]...

---

* الأب متى المسكين — المرجع السابق ص ٧٠

وفعلا طلب منهم يسوع أن «يملأوا الأجران ماء . فملأوها إلى فوق . ثم قال لهم استقوا الآن » ......

ومعنى كلمتها « مهما قال لكم فافعلوه » أنها عرفت وآمنت وأطاعت في وداعة تامة ...

لذلك لما صاحت إحدى السيدات ذات مرة قائلة للرب « طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذين رضعتهما » أجابها ، وهو يقصد إلى مدح إيمان مريم ووداعتها ، « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » [لو ١١ : ٢٧] وهذا ما ينطبق تماماً على القديسة مريم التى شهد عنها الروح القدس بأنها كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها [لو ٢ : ١٩] ...

لقد أتاها الرعاة يشهدون عن إنفتاح السماء وظهور الملائكة ، وجاءها المجوس يتحدثون عن فرحهم العظيم برؤيا النجم ، وفى الهيكل استمعت إلى طلبة سمعان الشيخ وتسبحة حنة بنت فنوئيل ، وفى كل هذا تعاظمت فى صمتها ، وتناهت فى وداعتها ، وتأملت فى هدوء جميع هذا الكلام « متفكرة به فى قلبها » . حقاً ما أشبه قلبها بالأرض الجيدة التى نزلت عليها البذار فأتت بالثمار ثلاثين وستين ومائة كقول

الرب « والذى فى الأرض الجيدة ، هم الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها فى قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر » [لو ٨ : ١٥] .

فإذا وصلنا إلى مشهد الصليب وجدناها واقفة ، تتحقق معها نبوءة سمعان الشيخ : وأنت أيضاً يجوز فى نفسك سيف [لو ٢ : ٣٥] وفى هذا المعنى تشارك الكنيسة والدة الاله آلامها وهى تذكرها فى صلاة الساعة التاسعة مسبحة « عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مخلص العالم على الصليب معلقاً قالت وهى باكية أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى وإلهى » والرب له المجد نظر إليها قائلا : « يا امرأة هوذا ابنك» ثم قال للتلميذ «هوذا أمك » [يو ١٩ :٣٦— ٣٧] ويتضح من هذا الموقف أن كلمة « يا امرأة » تعنى فى مفهومنا الحديث « ياسيدتى» فالرب قد استخدمها هنا فى مكان الإكرام والعناية والرعاية .

ويذكرنا هذا على التو بالآية التى سجلها القديس لوقا بعد واقعة حديث العذراء مع يسوع فى الهيكل حيث قال « ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما » [لو ٢ : ٥١] وعلى الفور يذكر الانجيلى

أن أمه « كانت تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها » ...

« فتمجيد الكنيسة للعذراء مريم بأنها والدة الاله والدائمة البتولية وسيدتنا كلنا ، هو فى الواقع حسب مشيئة يسوع المسيح ، وهو لا يتضمن تقديراً للأمومة إلا على أساس تكريم الوصية وتكميلها بالاتحاد بالمسيح »(*)

وستظل مريم تخاطب البشرية فى حب وإيمان « مهما قال لكم فافعلوه » .

إنها رسالتها الدائمة والملحة .

وأخيراً نجدها عند القبر فجر القيامة ثم مع التلاميذ فى العلية حيث حل عليهم جميعاً الروح القدس كما شهد بذلك القديس لوقا الانجيلى عن التلاميذ أنهم « كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع » [أع ١ : ١٤]

نياحة العذراء : تقول بعض المصادر : إن العذراء قالت ليوحنا :

يابنى يوحنا ارفع البخور
وصل عنى لأنى خارجة من الجسد
فى مثل هذا الوقت غداً

ففعلت كما أمرتنى وطلبت من الله أن يتمجد فى خروج والدة الاله

(*) الأب متى المسكين — المرجع نفسه — ص ٨٩

المباركة فى النساء ، ولما أكملت صلاتى كان صوت عظيم من السماء قائلا « آمين » .

واستمرت الملائكة بعد نياحتها ثلاثة أيام ترتل وترنم ...

وكان التلاميذ قد تجمعوا بإرشاد الروح لتوديعها والتبرك منها قبل إنتقالها فيما عدا توما الذى حضر متأخراً بعد أن رأى جسدها محمولا على ايدى الملائكة فطلب منا أن نفتح له القبر لأنه لن يصدق — كعادته — إلا إذ رأى بعينيه . وكانت دهشتنا عظيمة حين وجدنا القبر فارغاً فقص علينا توما الرؤيا المجيدة التى رآها فمجدنا الله لصنيعه العظيم مع أم النور .

مكانة العذراء فى كنيستنا

للعذراء فى كنيستنا المكانة الأولى بين القديسين والقديسات ، وقد أطلق عليها الآباء أسماء روحية حلوة ، ولقبوها بالألقاب الانجيلية واللاهوتية الرائعة التى تتضمن مدلولات روحية عميقة فهى : السماء الجديدة التى أشرق لنا منها شمس البر ، وهى أم النور ، والدائمة البتولية ، ووالدة الاله ، والمصباح غير المنطفىء ، والقسط الذهب الذى حمل المن العقلى ، والكرمة التى أكلنا من ثمرتها الإلهية ، وهى فردوس الكلمة ، والسلم السمائى ، والسحابة الخفيفة ، وهى الحمامة الحسنة ، والأم ، وسيدتنا كلنا ...

وتعبر هذه الألقاب ، وغيرها عن حب كنيستنا لأمنا العذراء ، وتكريمها لها ،وإستمرار التغنى بفضائلها ، والاستشفاع بها، والانتفاع ببركة صلواتها ، مع الاشادة بمكانتها ، وعلو كرامتها ، سواء فى عبادتنا الفردية أو الجمهورية ، بما تتضمنه من ألحان [إبصاليات] وصلوات وتماجيد [ثيئوتوكيات] تجمعها مناسبات كثيرة رتبتها الكنيسة ترتيباً طقسيا تربويا رائعا نلحظ أن وراءه فكرا آبائيا يتميز بالعمق والشمول .

وترتيب هذه المناسبات كالآتى :

اولا : فى صلوت السواعى : وهى التى تستخدم فى العبادة الفردية والجمهورية . ففى بدء صلاة باكر نلتقى بالعذراء حيث نقول : « ياربنا يسوع المسيح كلمة الله الهنا بشفاعات القديسة مريم وجميع قديسيك احفظنا ... » فإذا وصلنا إلى التحاليل نفسها وجدنا فى كل تحليل طلبة ختامية خاصة بالاستشفاع بالعذراء : فى صلاة باكر مثلا يقول المصلى : أنت هى أم النور المكرمة من مشارق الشمس إلى مغاربها يقدمون لك تمجيدات يا والدة الإله السماء الثانية ... إلخ »

وفى تحليل صلاة الساعة الثالثة : « يا والدة الإله أنت هى الكرمة الحقيقية الحاملة عنقود الحياة ... »

وفى ختام الصلاة ... « إذا ما وقفنا فى هيكلك المقدس نحسب كالقيام فى السماء ، يا والده الإله أنت هى الباب السمائى ... »

وفى تحليل صلاة الساعة السادسة... « كثيرة هى شفاعتك عند الذى ولدته ... »

وفى ختام الصلاة ... « أنت هى الممتلئة نعمة يا والدة الإله العذراء ، نطوبك لأنه من قبل صليب ابنك انهبط الجحيم وبطل الموت ... »

وفى تحليل صلاة الساعة التاسعة : ... « اقبل من والدتك شفاعة من أجلنا ... »

وفى ختامها ... « عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مخلص العالم على

الصليب معلقا قالت وهى باكية أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص ، وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى والهى ... »

وفى تحليل صلاة الساعة الحادية عشرة ... يستشفع بها المؤمن قائلا « إياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى ، وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى ، ولمؤامرة الأعداء اهزمى ... لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب ... »

أما فى تحليل صلاة النوم فيخاطب المصلى السيدة العذراء كأم وشفيعة قائلا . « أيتها السيدة العذراء اسبلى ظلك السريع المعونة ... فإنك أم قادرة رحيمة معينة والدة ينبوع الحياة ملكى وإلهى يسوع المسيح رجائى ... »

وفى ختام الصلاة يقول المصلى : « يا فائقة الطهر يا أم المسيح العنبر الفائق عطره ... أيتها الحاملة على ذراعيك ابناً هو مخلص العالم اشفعى فينا ... »

والمعانى نفسها تقريباً تذكرها الكنيسة فى صلاة نصف الليل بخدماتها الثلاث ثم فى صلاة الستار التى يصليها الآباء الرهبان .

ويأتى بعد ذلك تحليل الكهنة وفى خاتمته يقول الآباء ... « بشفاعة

ذات الشفاعات ، معدن الطهر والجود والبركات ، وسيدتنا كلنا ، ونخر جنسنا العذراء البتول الذكية مرتمريم ...

هذه التحاليل كلها تبين عن سر حب الكنيسة والمؤمنين للأم العذراء ، وتزيدهم ارتباطاً بمكانتها وشفاعتها ودالتها مما يزيدهم بالتبعية قرباً للمسيح كما ذكرنا من قبل « إننا بقدر ما نقترب من القديسين نقترب من المسيح »

ثانيا : وطبيعى أن تكون محصلة هذهالصلة الشخصية بين المؤمن والعذراء ، والتى تزيده اقترابا إلى إله العذراء وفاديها الرب يسوع نفسه ، صلة أقوى وأوسع عن طريق العبادة الجمهورية ، وعلى وجه التحديد فى صلاة القداس ... فى رفع بخور باكر يعطى الأب الكاهن ثلاث أياد يقول فى الأولى : افرحى يا مريم الحمامة الحسنة التى ولدت لنا الله الكلمة ...

وفى اليد الثانية يقول : السلام لك أيتها العذراء الملكة الحقيقية الحقانية ، السلام لفخر جنسنا ولدت لنا عمانوئيل ... وفى اليد الثالثة : نسأل اذكرينا أيتها الشفيعة الأمينة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا ...

وعند انتهاءصلاة باكر يقول الأب الكاهن : ارفع شأن المسيحيين

بقوة الصليب المحيى ، بالسؤالات والطلبات التى تصنعها عنا كل حين سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم ... وبعد أن يذكر القديسين جميعاً يستشفع بملاك هذه الذبيحة المباركة ثم يختم قائلا : « وبركة والدة الاله القديسة الطاهرة مريم أولا وآخرا »

ثالثا : تتلو الكنيسة مقدمة قانون الايمان التى تبدأ بالقول « نعظمك يا أم النور الحقيقى ...

(ا) فى رفع بخور عشية وباكر .

(ب) فى خدمة القداس الالهى قبل تقديم الحمل .

(ح) فى صلوات مزامير باكر والنوم ونصف الليل .

والملاحظ أن الاتجاه الآبائى فى هذه التسبحة واضح كل الوضوح ، فحقيقة أن مضمونها تعظيم للعذراء لكن سرعان ما تنفذ التسبحة إلى تمجيد المسيح : الله الابن المتجسد ... فحين تصل إلى كلمة « أتى وخلص نفوسنا» تبادر إلىالمسيح الرب ممجدة قائلة « المجدلك ياسيدنا وملكنا المسيح .. إلخ » وإذن فليس الأمر تمجيداً للعذراء ونسياناً للمسيح ، بل على العكس فعن طريق تمجيد العذراء يزداد ارتفاع قامتنا الروحية لنزداد اقتراباً من المسيح ...

رابعا : فى الثيئوتوكيات التى تتلى تكريماً للعذراء على مدى أيام

الأسبوع والثيئوتوكية كلمة يونانية معناها حاملة الإله(*) وهى عبارة عن أوصاف ومشابهات رمزية بين العذراء مريم وبين رموز العهد القديم فيما يتعلق بصلتها بحلول الله فيها .

ويتسع مضمونها حتى « ليشمل المنهج اللاهوتى الذى تعيشه الكنيسة إيمانياً منذ البدء »

وعدد الثيئوتوكيات ١٨ تنفرد الست الأولى منها — وهى التى تتلى يوم الأحد — بأنها مقسمة إلى قسمين : الأول يحمل الرمز ، والثانى يحمل التفسير اللاهوتى ، وفى الشطرين توضيح للعلاقة السرية العجيبة بين المطوبة مريم العذراء وبين المسيح ابنها . وتوجد هذه الثيئوتوكيات فى كتاب الأبصلمودية المقدسة السنوية وهو كتاب خدمة التسابيح اليومية للكنيسة .

خامسا : تذكر العذراء فى مقدمة مجمع القديسين إذ يقول الأب الكاهن « وبالأكثر القديسة العذراء المملوءة مجداً كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة »

سادسا : فى عدة مردات خاصة أثناء القداس .

(ا) فى القسم التعليمى من القداس الخاص بالموعوظين : حين

(*) الأب متى المسكين — العذراء القديسة مريم — ثيئوتوكس — ص ٢٧

يصلون مستشفعين بالقديسين فى اللحن المعروف بالهيتينيات — يأتى على رأس هذا اللحن استشفاع بالعذراء يتميز بطلب شفاعة « هيتينى ابرسفيا »...أما بقية القديسين فمضمون اللحن طلب صلاتهم فقط(*) .

(ب) فى نهاية هذا القسم : بعد رفع الابروسفارين يرتل الشعب لحن « بشفاعات والدة الإله القديسة مريم ... »

سابعا : هناك ألحان خاصة بالعذراء :

(ا) **لحن « السلام لمريم الملكة »** الذى يأتى قبل تقديم الحمل ويقول :

— السلام لمريم الملكة .

— الكرمة غير الشائخة التى لم يفلحها أحد، ووجد فيها عنقود الحياة .

— ابن الله تجسد بالحقيقة من العذراء ، وولدته وخلصنا وغفر لنا خطايانا .

— وجدت نعمة أيتها العروس .

— كثيرون نطقوا بكرامتك لأن كلمة الآب أتى وتجسد منك .

— أية إمرأة على الأرض صارت أماً لله سواك .

— وأنت امرأة أرضية صرت أماً للبارى .

(*) المرجع السابق نفسه .

— نساء كثيرات نلن كرامات وفزن بالملكوت لكن لم يبلغن كرامتك .

— أيتها الحسناء فى النساء .

— أنت هى البرج الذى وجدوا فيه الجوهر عمانوئيل الذى أتى وحل فى بطنك .

— فلنكرم بتولية العروس التى بغير شر ، النقية القديسة فى كل شيء والدة الاله مريم .

— ارتفعت أكثر من السماء وأنت مكرمة أكثر من الأرض وكل المخلوقات لأنك صرت أماً للخالق .

— أنت بالحقيقة الخدر النقى الذى للمسيح العريس حسب الأصوات النبوية .

— اشفعى فينا يا سيدتنا كلنا والدة الاله مريم أم يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا .

(ب) **لحن « المجمرة الذهب حاملة العنبر »** عند رفع بخور البولس ويقول « المجمرة الذهب النقى حاملة العنبر ، فى يدى هارون الكاهن ، يرفع بخوراً فوق المذبح »(*)

(*) إذا لم يسمح الوقت يقال اللحن الآتى ، وبالأخص فى عيدى الصليب ، وفى صلاة الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة . « المجمرة الذهب هى العذراء ، وعنبرها هو مخلصنا ولدته وخلصنا وغفر لنا خطايانا »

(ح) **لحن « السلام لك يامريم الحمامة الحسنة:** التى ولدت لنا الاله الكلمة بالحقيقة ، نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا » ، ويقال قبل قراءة فصل الابركسيس .

(ى) **لحن « افرحى يامريم :** العبدة ، والأم ، لأن الذى فى حجرك تسبحه الملائكة ، والشاروبيم يسجدون له باستحقاق ، والسيرافيم بغير فتور : قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت . نسألك ياابن الله أن تحفظ لنا حياة بطريركنا .

قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت .

السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس »

(هـ) لحن « **خبز الحياة** » الذى يقال أثناء التوزيع ونصه : خبز الحياة الذى نزل من السماء وهب الحياة للعالم . وأنت أيضاً يا مريم حملت فى بطنك المن العقلى الذى أتى من الآب . ولدته بغير دنس وأعطانا جسده ودمه الكريمين لحيينا إلى الأبد »

هذا عدا الألحان العديدة الأخرى التى تتلى فى الأعياد السيدية والأيام العادية والأصوام .

ثامنا : فى الاعتراف الأخير : آمين آمين آمين ،أؤمن أؤمن أؤمن، وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم وجعله واحداً مع لاهوته ...

وكما تحتفى الكنيسة بالعذراء بواسطة اللحن والتمجيد بالصورة التى بيناها ، وتضعها من خلال الألحان والتماجيد الخاصة على رأس مجموعة القديسين الذين تكرمهم ؛ كذلك تخصص لها أعيادا سبعة ، وترتب فى كل عيد بعض التسابيح والقراءات الخاصة تنتظمها الكتب الآتية :

(ا) التماجيد المقدسة للعذراء والملائكة والرسل والشهداء والقديسين(١)

(ب) الدفنار : طروحات (أى تأملات وتعليم) واطس وآدام ويقصد بهما نوع اللحن الخاص بأيام الأسبوع(٢)

(حـ) كتاب الابصاليات (أى الألحان) والطروحات(٣).

(١) عنى بطبعه وجمعه القس دوماديوس البرموسى من مخطوطات الأديرة والكنائس القديمة — القاهرة ١٩٢٢م — ١٦٣٨ ش

(٢) جمعها القس دوماديوس البرموسى القاهرة — مطبعة عين شمس — ١٩٢٢م — ١٦٣٨ش

(٣) القمص فيلوناؤس المقارى ، والمعلم ميخائيل جرجس — مطبعة القديس مكاريوس — ١٩١٣م — ١٦٣٠ش

وعدد هذه الأعياد سبعة .

١ — عيد البشارة بميلادها — في اليوم السابع من مسرى

٢ — عيد ميلادها — فى اليوم الأول من بشنس

٣ — عيد دخولها الهيكل — فى اليوم الثالث من كيهك

٤ — عيد مجيئها إلى مصر — فى اليوم الرابع والعشرين من بشنس

٥ — عيد نياحتها — فى اليوم الحادى والعشرين من طوبة

٦ — عيد صعود جسدها الطاهر — فى السادس عشر من مسرى

٧ — عيد بناء أول كنيسة فى العالم على اسمها — فى اليوم الحادى والعشرين من بؤونة

هذا عدا أعياد تدشين الكنائس المعروفة باسمها فى أنحاء البلاد المصرية : مسطرد مثلا ، وسمنود ، والدير المحرق ، عدا ما يكتشف من الكنائس الأخرى مثل كنيسة إتريب مثلا ، وتقع فى الشمال الشرق

من مدينة بنها الحالية على بعد ٤٤ كم من القاهرة (*)

وفى يوم أول بشنس : ذكرى ميلادها المبارك تمدحها الكنيسة قائلة : كلمة الخالق أتى وتجسد منك .

ولدته وأنت عذراء

يا مريم ابنة يواقيم

أنت هو باب المشرق الحقيقى

لأن المسيح أشرق لنا منك

كل جنس البشرية والطغمات العلوية

أنت ارتفعت أكثر منهم

يا مريم ابنة يواقيم

(*) هى من الكنائس الأثرية القديمة المسماة باسم العذراء ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل القرن الثالث الميلادى . وتجرى الآن حفريات فى هذه المنطقة للبحث عن آثار هذه الكنيسة ، تقوم بها البعثة البولندية التى كان لها فضل اكتشاف عدد من الكنائس القديمة فى بلاد النوبة

راجع : يعقوب مويزر : تاريخ مجيد انطوى وآثار رهبنة امحت — بحث ضمن كتاب « الرهبنة القبطية » أصدرته جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية سنة ١٩٤٨ .

وراجع أيضا : د . فؤاد زكى تادرس — جريدة وطنى بتاريخ ٩ ، ٢٣ يونية سنة ١٩٦٨ .

داود قال الرب الاله اختار صهيون له مسكناً

فهى العذراء مريم ابنة يواقيم

دانيال يدعوك الجبل العقلى

أنت هو الجبل الثابت يامريم ابنة يواقيم

مَن فى الحكماء والفهاء والمؤمنين لم ينشدوا طوباويتك يامريم ابنة يواقيم .

زكريا يعظمك ، إشعياء يمدحك ، ايليا وصموئيل وحزقيال ودانيال يفتخرون بك .

هذا هو باب المشارق ، هذه هى مدينة إلهنا ، موضع الروح القدس .

هذه هى أم الله الذى دخل إليها وخرج وتركها مختومة — مريم ابنة يواقيم .

إرمياء أشار من أجل بلسان جلعاد الذى وجد فى العذراء مريم ابنة يواقيم .

يهوذا الأسد القوى أب المسيح بالجسد صارت له البركة من قلبك يامريم ابنة يواقيم .

بعد ذلك تأتى ذوكصولوجية خاصة بميلاد العذراء :

السلام لك يا مريم السلام للعفيفة أكثر من الملائكة

السلام لشجرة الزيتون السلام للمباركة أم يسوع

اسمعوا رئيس الآباء والحكيم مفسر الكتب المقدسة يشبهك بالمنارة الذهب التى سبعة سرج تضىء عليها ، وكان يقول إن السبعة السرج تشبه بطن مريم الطاهرة ، التى نور الحق الغير مدرك يضىء منها لكل الدهور .

خرج من علو السموات وسكن فى بطنها تسعة أشهر ، ولدته وهى عذراء ، وأضاء علينا بعظيم رحمته .

وفى عيد دخولها الهيكل : ٣ كيهك تقول الكنيسة :

كنت فى سن الثلاث سنوات يامريم فقدموك للهيكل .

فشيت مثل الحمامة(*) والملائكة يأتون إليك .

زكريا وسمعان كاهنا البخور نطقا بكرامات عظيمة لأجلك ياسيدتى والدة الاله

وفى هذه المناسبة يقول التمجيد :

العذراء نالت كرامة اليوم . هذه العروس قبلت اليوم مجداً وهى ملتحفة بأطراف الذهب ، مزينة بكل نوع .

(*) كان قدماء المصريين يشبهون روح الإنسان بالحمامة . ويصورونها على صورة هذا الطائر الوديع .

داود حرك الوترالأول من قيثارته وصرخ قائلا قامت الملكة عن يمينك أيها الملك .

وحرك الوتر الثانى من قيثارته صارخاً قائلا هكذا اسمعى يا ابنة واصغى وانظرى وأميلى إلىّ سمعك وانسى شعبك وكل بيت أبيك .

وحرك الوتر الثالث من قيثارته وصرخ قائلا إن كل مجد ابنة الملك من داخل ملتحفة مزينة بأطراف مذهبة .

وحرك الوتر الرابع من قيثارته وصرخ قائلا إن العذارى يدخلن إلى الملك خلفها وهن صويحباتها .

وحرك الوتر الخامس من قيثارته وصرخ قائلا إن الرب عظيم ومبارك هو جداً فى مدينة إلهنا على جبله المقدس

وحرك الوتر السادس من قيثارته وصرخ قائلا أجنحة حمامة مغشاة بالفضة ومنكباها بصفرة الذهب .

وحرك الوتر السابع من قيثارته وصرخ قائلا جبل الله الجبل الدسم الجبل المرتفع .

وحرك الوتر الثامن من قيثارته وصرخ قائلا هكذا إن أساساته فى الجبال المقدسة ، الرب أحب أبواب صهيون .

وحرك الوتر التاسع من قيثارته وصرخ قائلا قالوا عنك أعمالا كثيرة مكرمة أيتها المدينة المقدسة التى للملك العظيم .

وحرك الوتر العاشر من قيثارته وصرخ قائلا إن الرب أحب أبواب صهيون واختارها ورضيها مسكنا ، اشفعى فينا .

وفى نياحتها يقال أيضا :

— السلام لك يا مريم كرسى الله عمل البركة الذى لكلمة الاله

— السلام لك يامريم المعونة العظيمة التى للمؤمنين .

— السلام لك يامريم يا فرح السموات

إسألى الرب عنا يامركبة الله لكى ينظر لنا بعين الخلاص

وفى عيد صعودها فى ٢١ طوبة يقول التمجيد :

— أنت أعلا من الشاروبيم ، وأجل من السارافيم ، لأنك جذبت ابنك وحملته على ذراعيك وأرضعته اللبن فى فيه .

إن قلت إنك سماء فأنت أفضل من سماء السماء فإن الذى أعلا من الشاروبيم أتى وتجسد منك ولم يحل لك بتولية .

طوباك أنت يا مريم الملكة أم الملك .

اسمها المكرم دائم كل حين فى أفواه المؤمنين صارخين قائلين :

— السلام لك يامريم سلاماً مقدساً

— السلام للمكرمة أكثر من كل الأرض .

— السلام لك يا مريم سلاماً مقدساً .

— السلام للسماء الجديدة الكائنة على الأرض .

— السلام للتى افتخر رؤساء الآباء بعظمتها .

— السلام للتى نطق الأنبياء بكرامتها .

— نعم نسألك يامريم الملكة أن تطلبى عنا أمام المسيح الملك .

وعند تكريس الكنائس المسماة باسمها

— كرامة هذه العذراء شبه البرج المبنى حسناً الذى كل حين معلمو الكنيسة المختارون ، به محيطون .

أنت هو البرج المرتفع الذى وجد فيه الجوهرة الذى هو عمانوئيل الذى جاء وحل فى بطنك .

السلام لك يامريم ، أم الكلمة ، السلام لهيكل الخالق ، السلام لك أصل الصديقين ، السلام للعفيفة أكثر من الملائكة .

السلام للزيتونة أساس المؤمنين ، السلام للمباركة أم يسوع المسيح ، السلام للفردوس مسكن الأبرار .

السلام للقبة النقية التى للذاتى .

السلام للسلم المقدسة التى رآها يعقوب .

وحمل الله المسيح جالس عليها .

بشفاعات والدة الاله

تمجيد لها فى سائر أعيادها .

السلام للقبة الثانية التى للابن

السلام لمسكن الله الكلمة

السلام لهيكل الروح القدس

السلام للفردوس الطاهر الناطق بالسلام

السلام لشجرة الحياة ذات عدم الموت

السلام للحقل المقدس الذى باركه الله

السلام لكرم الرب الصباؤوت

السلام لكرم الزيتون اللذيذ المغروس فى بيت الرب

السلام للاكليل غير المضمحل

السلام للبخور المختار الذى ملأ السماء والأرض

السلام للتى ولدت لنا الاله الكلمة مخلصنا يسوع أتى وخلصنا

السلام للقديسة أم جميع الأحياء

أسألى الرب فينا لينعم علينا بغفران خطايانا .

هكذا تعيش الكنيسة مع العذراء باللحن والتمجيد على مدى السنة فى أعيادها الكثيرة ، وعلى مدى الأسبوع فى تسابيح الثيئوتوكيات ، بل ويوميا فى القداس الالهى . وكما أن العذراء هى الأم والشفيعة كذلك الكنيسة هى الأم التى تجمع المؤمنين ، وهكذا تكرم الأم الكنيسة الأم العذراء فى هذيذ الليل ، وتسبيح النهار ، فيتصاعد هذا بخوراً عطراً طاهراً أمام الجالس على العرش .

* * *

على أن للكنيسة مع العذراء موقفا آخر يضاف إلى هذه التسابيح والتماجيد ، وذلك هو موقف الدفاع عن أمومتها لله الابن، المتأنس منها، فى مجمع أفسس : المجمع المسكونى الثالث المنعقد سنة ٤٣١ م .

مع التاريخ فى الدفاع عن العذراء

لقد كان لكنيستنا العظيمة موقف كبير فى الدفاع عن والدة الاله فى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ ضد بدعة نسطوريوس أسقف القسطنطينية. فقد تقدم هذا المبتدع بنفس البدعة الأريوسية وإنما بصورة أخرى . لقد أنكر أن العذراء ولدت المسيح : الله الابن المتأنس منها وقال إنما ولدت الانسان فقط . وكان هذا إنكارا لما قاله الروح القدس نفسه على لسان أليصابات « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ » [لو ١ : ٤٣] .

وقاوم القديس كيرلس الكبير البابا الرابع والعشرون[١] هذه البدعة قائلا: « مادام المسيح هو الآله المتجسد ، كانت أمه من غير شك أماً لله. وهذا هو الإيمان الذى سلمه لنا الرسل ، والعقيدة التى دان لها آباؤنا ، ليس لأن طبيعة الكلمة قد بدأت مع السيدة العذراء ، ولكن لأن فى داخلها نما الجسم المقدس الذى اتخذه المخلص وجعله واحدا مع لاهوته بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . لذلك نهتف مع يوحنا الحبيب قائلين : « والكلمة صار جسداً » [يو ١ : ١٤] . وكما أن الأم البشرية ، رغم أنه لا يد لها فى خلقة نفس ابنها — هى أم لأبنها بأكمله وليس لجسده فقط — هكذا السيدة العذراء هى أم للمسيح بأكمله ، فهى قد نالت بحق لقب أم الله »[٢]

وإذ لم يبال نسطور بهذه الردود وغيرها جمع البابا كيرلس مجمعاً فى الاسكندرية ووضع مقدمة لقانون نيقية وقد تضمن عقيدة أن العذراء هى والدة الاله . وهذا نص المقدمة : نعظمك يا أم النور الحقيقى ، ونمجدك أيتها العذراء القديسة مريم والدة الاله ، لأنك ولدت لنا مخلص العالم كله ، أتى وخلص نفوسنا ؛ المجد لك يا سيدنا ، وملكنا المسيح ، فخر الرسل ، إكليل الشهداء ، تهليل الصديقين ، ثبات

---

(١) تولى مسئولية البطريركية من سنة ٤٠٤ إلى سنة ٤٣٦م

(٢) راجع ايريس حبيب المصرى — قصة الكنيسة القبطية — ج١ — الطبعة الأولى — القاهرة — دار العالم العربى — ص ٣٩٤ .

الـكنائس · غفران الخطايا ، نـكرز ونبشر بالثالوث الأقدس ، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده،يارب ارحم،يارب ارحم،يارب بارك ،آمين »

وكم هو رائع أن تـكون كل كلمة فى هذه القوانين كلها مأخوذة بالنص عن الـكتاب المقدس ، الأمر الذى يبين مدى تعمق آبائنا فى دراسة الـكتاب المقدس ، وفهمه بروح الوحى نفسه . انظر إلى قولهم الآبائى الأصيل فى هذا الصدد « نحن لا ننادى بمسيحين أحدهما الـكلمة الذاتى ، والآخر ابن الإنسان ، ولـكننا نؤمن بمسيح واحد هو الاله الـكلمة الذى هو ابن الانسان الحق. لأننا إن كنا نؤمن مع مار بولس الرسول أن فى المسيح حل ملء اللاهوت جسديا (كو ٢ : ٩) فاننا ندرك أن الله لا يستقر فيه كما استقر فى قديسيه ، بل إن اللاهوت والناسوت اتحدا فى المسيح ، كما تتحد الروح بالجسد فى الإنسان فهو إذن رب واحد ومسيح وابن واحد »[1]

وكما كانت كلمة « أوموسيوس » « مساو للاب فى الجوهر » هى موضوع الخلاف بين القديس أثناسيوس وأريوس فى القرن الرابع ، وحولها اجتمع المجمع المسـكونى الأولى بنيقية سنة ٣٢٥ م ، هكـذا أصبحت كلمة « ثيئوتوكس » أى والدة الاله هى مدار الخلاف بين القديس كيرلس الـكبير ونسطوريوس فى القرن الخامس . وكما حارب

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٤٠١

القديس أثناسيوس بدعة أريوس نصف قرن كامل حتى استحق أن يلقب بالرسولى ، وبحامى الإيمان ، هكذا كافح القديس كيرلس ضد بدعة نسطور ، عن أمومة العذراء لابن الله ، حتى استحق لقب عمود الدين ، وجمعت كتاباته تحت اسم « كيريليانا » وإنها لدراسات تفوق الوصف ، وبلغ من إعجاب معاصريه بها أن أطلقوا عليه لقب أثناسيوس الثانى .

وتابعت الكنيسة المصرية ، فى شخص أسقفها العظيم ، قيادة الدفاع عن العذراء والدة الاله ، حتى انعقد مجمع أفسس — وهو الثالث فى تعداد المجامع المسكونية — وانتظم مائتين من أساقفة العالم للنظر فى بدعة نسطور ومحاكمته عليها ، وكان البابا كيرلس هو رئيس المجمع فقرئت رسالاته وردوده على ما قاله نسطور ، وانتهى إلى خلع نسطور المبتدع عن كرسيه ، وحرمه ، وتجريده من كل رتبة كهنوتية ، ثم إقرار بدء قانون الايمان كما وضعته كنيسة الاسكندرية ...

بذلك اعتبرت هذه الكنيسة الخالدة هى حارسة الايمان ، ومعلمة المسكونة ، والمرجع الأصيل لتفسير الحقائق اللاهوتية ...

هذا هو الموقف التاريخى لكنيستنا العظيمة فى الدفاع عن أم النور ، وإثبات كرامتها وعلاقتها القدسية بربها وفاديها ، فإذا أضفناه إلى ما وضعته من تماجيد ، وتسابيح ، وألحان ، أدركنا إلى أى حد استطاعت كنيستنا الآبائية أن تستشف الفكر اللاهوتى الأصيل وتتعمقه ، ثم تجسده عقيدة ومبدأ حافظنا عليه ودافعنا عنه حتى وقتنا الحاضر .

تجلى العذراء ودلالات هذا التجلى

لماذا ظهرت ؟

الكنيسة هى مركز الشهادة للقديسين ، المقدسين فى الرب يسوع ، وإكرامهم ، وتمجيدهم ؛ بل هى السحابة التى تجمعهم كشهود للحق والخير والفضيلة ، وبالذات للسيدة العذراء ، والدة الاله ، ولذلك فليس عجيباً أن نسمع بين وقت وآخر عن ظهور أحد القديسين ، وحدوث بعض المعجزات فى منازلنا ، وفى كنائسنا ، وأديرتنا ، فى نواح مختلفة من بلادنا المباركة . وقد نسمع عن الكثير من الرؤى للمقدسة يراها الآباء والمؤمنون فتشدد إيمانهم ، وتحل مشكلاتهم ، وتعينهم على احتمال آلامهم ، ومتابعة جهادهم ؛ وإذا كان القديسون يظهرون ويتراءون ويصلون ويشفعون ؛ فبالأكثر القديسة مريم العذراء حبيبة الكنيسة وأم جميع المؤمنين بل وسيدتنا كلنا أم النور التى نكرمها فى عباداتنا ليلاً ونهاراً . والمهم أن نعرف أن لكل ظهور غاية روحية معينة ربما تظهر فى وقتها ، وربما تظهر فيما بعد ، وفقاً لمشيئة الله . فشكل الرؤيا ، وتوقيت ظهورها ، وطريقة هذا الظهور ، وأمكنته ؛ أمور تدخل فى نطاق التدبير الإلهى ، وقد لا يمكن تعليلها أو فهمها إلا متأخراً . ومع ذلك فالقديسون فى كل زمان ومكان « إذ لهم مسحة من القدوس ، يعلمون

كل شيء »[١ يو٢:٢٠] فبموهبة التمييز ، تستعلن لهم البركات السرية الكامنة فى الرؤى الالهية فى الوقت الذى قد يقف فيه غيرهم موقف المتشكك أو المتباعد أو المتهاون وهذا ما حدث مع السيد المسيح نفسه. « فالذين قبلوه أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله» [يو١:١٢] والذين لم يقبلوه ، لم يحصلوا على هذه العطية العظمى التى تحدث عنها القديس « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » [١ يو ٣ : ١]

وفى هذه الأيام إذ زاد تعقد الحياة ، وتعددت تحديات الايمان ، وامتلأ العالم بالعثرات والحروب ، كما تكاثرت فى حياة الناس الآلام والضيقات ، فهبطت معنويات الكثيرين ، وفترت هممهم عن متابعة الكفاح ،بل وهرب البعض من الميدان إلى بلاد أخرى ،رغم حاجة بلادنا الشديدة إلى جهودهم ومواهبهم فى مرحلة من أدق مراحلنا التاريخية ، ورغم دفعات القادة والرواد ، كان هذا التجلى العظيم .

على أن لمراحل الانتقال خصائصها المعروفة ، وهى عادة لها دورات نفسيه وإدراكية ، يجب أن نجتازها إلى النهاية ، وقد تتأخر وتطول ، خاصة إذا تعددت المعوقات أمامها ، وتزايدت الصعوبات ، ولم تلحق بها القوى الروحية المضادة ، وهى عادة تسير أكثر بطئاً لأنها مرتبطة بتغيير وبناء النفس من الداخل ، وهى عملية شاقة وصعبة للغاية ، إلا إذا تدخلت قوى فائقة للطبيعة لتسرع بعملية التطهير والبناء ؛ وقتها

يمكن فعلا للقوى الروحيـــة أن تتشدد فى التغلب على الماديات والتحديات ...

أترى أم النور فى حبها لكنيستنا وشعبنا ، بل ولبلادنا وديارنا كلها ، التى زارتها يوما ، وسارت على أرضها ، وشربت من مائها ، وتفيأت ظلال أشجارها ، وسط الصحارى المتسعة التى عبرتها ، وعلى السهول التى استوت على عشبها ، عند شاطئى النيل ، ذاهبة وآيبة ؛ أتراها ، وهى الأم الحبيبة والحنون ، قد شعرت بما يحيط ببلادنا وشعبنا من صعوبات وما يواجهها من تحديات ، فرأت أن تعلن تأييدها لنا ، فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخنا المعاصر ، وأن تعبر لنا عن شعورها : شعور الأم نحو أولادها ، فكانت زيارتها لكنيستها بالزيتون ؟؟ وكأنها تقول لنا على لسان إشعياء ... « شددوا الأيادى المسترخية ، والركب المرتعشة ثبتوها . قولوا لخائفى القلوب تشددوا ولا تخافوا . هـوذا إلهكم ... » [إش ٣٥ : ٢ ، ٣]

نحن لا نستبعد هذا ، فهى أمنا وشفيعتنا بل وسيدتنا كلنا ، إنها الوديعة ، اللطيفة ، الرقيقة ، الممتلئة كمالا ونعمة وسلاما ، جاءت مشرقة علينا بالنور ، مقدمة لنا البركة ، مانحة لمرضانا الشفاء ، واهبة للتعابى فينا ، روحيا ونفسيا ، نعمة الراحة والعزاء والسلام .

هذا التجلى العظيم ، فى هذه الظروف ، وهذه المعجزات المتتالية ،

والبركة الفياضة ، تذكرنا على الفور بما وقع فى قانا الجليل حيث كانت أم النور شفيعة كريمة عن أصحاب العرس لدى الرب يسوع . لكن لعرس قانا الجليل دلالة أعمق وأكثر شمولا فهو يتضمن كل معالم الصورة بأضوائها وظلالها التى يبدو فيها عالمنا فى الوقت الحاضر . « فالكنيسة تؤمن أن عرس قانا الجليل ، لا يزال قائماً ، والضيف الإلهى كما كان بالأمس ، هو هو قائم اليوم وإلى الأبد ، والبشرية هى هى بعينها : متلافة ، وعاجزة وقد أفرغت خمرها وباتت فى أشد الحاجة إلى العون الروحى والحكمة التى تسلك بها فى ظلمة هذا العالم . وأجران التطهير فارغة ومنسية ، فهى تشير إلى إخفاق الإنسان بالنسبة للناموس. والقلوب جافة ومتلهفة للانعاش ، والعيون كلها تنظر إلى الأم فى توسل ، لكى تنقل كلمة البشرية إلى آذان الضيف الإلهى لكى يبدأ عمله العظيم ، لا كأنه غافل عن المحبة ولا كأنه لا يسمع أو يرى ولا كأنه لا يريد أن يشترك فى عوز المتكئين فى أركان العالم حوله وإلا فلماذا جاء ؟

لكنه كان يريد أن يسمع السؤال شجاعا واضحاً . هو مشتاق أن تصل إلى أذنه كلمة واثقة تعبر عن حاجة الناس ولكن من شفاه مؤمنة بقدرته السرمدية ولاهوته ، وهو يريد قلبا يطلب منه بدالة : دالة البنوة الكاملة أو دالة الأمومة الواثقة .

وحينما تقدمت العذراء إليه بالسؤال « ليس لهم خمر » كانت شفيعة

العرس كله ، بل والعالم ، ولا تزال إلى الأبد عونا جديداً دائماً وشفيعاً لمن ليس له عون . إنها بدالة شديدة تضم توسلها إلى رحمته وترفع سؤالها بالثقة حتى يبلغ إلى استجابته الوديعة المستعدة ، لأن توسل البشرية لا يمكن أن يبلغ إلى استجابة المسيح الحاضرة إلا بدفع الإيمان ، والإيمان جوهره الثقة بما يرجى ، والايقان بالأمور التى لا ترى . لقد كان المسيح ، ولا يزال ، ينظر حاجة المتكئين والبشرية كلها ويرى أن الخمر فرغت والعالم فقد الرجاء ، يرى ويحس بعوز المدعوين وكل الشعب ، كما يحس بخجل الداعين وإفلاس الرؤساء ،وكان يريد أن يعمل شيئاً ولكنه لا يعمل إلا فى مجال الإيمان .

واستجاب الرب لشفاعة مريم ، فقالت للخدام « مهما قال لكم فافعلوه »[يو ٣ : ١ — ١١]

وهذه هى الوصية الوحيدة التى قدمتها العذراء مريم للناس ولا تزال تقدمها للعالم أجمع ... مهما قال لكم فافعلوه ... وفى هذه الكلمة تظهر مريم كما عرفناها خادمة لكلمة المسيح فى هدوء ووداعة وتأمل ... كما شهد القديس لوقا عنها، كانت تحفظ هذا الكلام متفكرة به فى قلبها...،

وإذن فعمل مريم فى الشفاعة يشتمل على اتجاهين :

١ — تقديم حاجتنا أمام المسيح بثقة ودالة وإيمان الأمومة . وهذه الشروط وهذه الدالة فى الواقع تعوزنا أحياناً كثيرة .

٢ — قدرتها على توجيه قلبنا سراً إلى وصايا المسيح لتتميمها بكل دقة كما أوصت أصحاب العرس : وذلك عندما نظهر لها احتياجنا ويبدو أمامها لائقاً مستحقاً الشفاعة فعلا كما حدث فى هذه المعجزة»[1]. وكأنها تكرر كلمة اشعياء : « من الذى يسلك فى الظلمات ولا نور له فليتكل على اسم الرب ويستند إلى الهه » [إش ٥٠ : ١٠]

هكذا جاءت إلينا العذراء . أتراها وجدت أجراننا فارغة فهى تتقدم بشفاعتها إلى الرب أن يملأها ويملأنا ، كما توجه قلوبنا سراً إلى إطاعة وصية الله والتمسك به فى إيمان لأن اسم الرب حصن يلجأ إليه الصديق ويتمنع ؟ أم تراها تهيئنا وتعدنا باطنيا لزيادة الثبات فى الإيمان والاعتزاز بقوة الشهادة للرب يسوع واختبار عمل التوبة والتجديد فى حياتنا ؟ وفى الوقت نفسه توجه عتاباً ولوماً لمن — حتى الآن — ينكرون أمجاد القديسين وشفاعتهم ؛ وتوقفهم أمام أنفسهم وأمام الله فى مكان الدينونة ؟ الواقع إنها فعلت هذا كله : فعلته كسفيرة سمائية فوق العادة .

توقيت الظهور : لقد جاءتنا العذراء في ظروف عصيبة لتخفف عنا وتشددنا . وكان لتوقيت ظهورها معنى آخر : فقد صادف أواخر الصوم

---

(١) الأب متى المسكين — والدة الاله [نيثوثوكوس] — ص ٨٩ الى ص ٩١

الكبير وأسبوع الآلام ثم استمر فى عيد القيامة وفى الخماسين المقدسة حتى وقتنا الحاضر : ظهور متكرر ومستمر ويومى . ولأيام الصوم الكبير ، وأسبوع الآلام ، قدسية خاصة عند المؤمنين . الذى يتوانى عن الصوم طول السنة يهتم بتقديس هذه الأيام بصفة خاصة . الذى ينسى سرّى التوبة والتناول يتقدم لممارستها فى هذه الأيام .

أما فترة الخماسين فهى الفترة التى تزف فيها الكنيسة صورة المسيح القائم حتى يعاينه المؤمنون منتصراً على الموت كما عاينه التلاميذ من قبل، فامتلأوا فرحا عبر عنه القديس يوحنا فى انجيله بقوله « فرح التلاميذ إذ رأوا الرب » [يو ٢٠ : ٢٠]

وهكذا كانت القلوب مهيأة لرؤيا سمائية تزيد الإيمان ، وترفع القامة الروحية ، وتدعم حب الفضيلة والدين فى النفوس .

كذلك صادف هذه الفترة بالذات قرب افتتاح الكاتدرائية الجديدة ، بدير الأنبا رويس ، وقدوم رفات القديس مرقس الرسول ، وهى مناسبة جليلة ؛ فقد كانت مريم أم يوحنا الملقب مرقس من صديقات وحبيبات أم النور ، وكان بيت مرقس هو العلية التى يجتمع فيها التلاميذ ، ومعهم العذراء والمريمات للصلاة ، وفيه حل الروح القدس . وهنا فى مصر مكان كرازة مار مرقس ، إنها علية الاسكندرية حيث كرز باسم

الرب ، وارتفع صليبه عاليا ، وتهيأت القلوب للتوبة ، ولنمو البـــذار الروحى . هنا المدينة المحبة للمسيح . أورشليم الثانية ، عقل العـالم المسيحى وقلبه ، حيث وجد المنبع الصافى للتعاليم الآبائية ، وحيث بذل الملايين أنفسهم لأجل اسم الرب يسوع ...

هـكذا كانت تحية من العذراء أم النور التى كانت تشارك التلاميذ عبادتهم فى منزل مرقس، أن تحضر وصول جسد مارمرقس إلى إيبارشيته وأسقفيته وهى تحية غالية ولفتة رؤوية مباركة، فيها التقدير لـكاروزنا ، وفيها أيضاً التأكيد بقدسية أرضنا وطهارة كنيستنا ونقاوة عقيدتنا . وإذا كان وصول رفات القديس مرقس هو فى حد ذاته حدثا كبيراً لايتـكرر ، فـكم وكم إذا اقترن بظهور العذراء ؟ ؟ ...

أخيراً إن هذه الفترة بالذات هى الفترة التى اعتـاد المؤمنون أن يستعدوا خلالها للذهاب إلى القدس حيث يحظون بزيارة المقدسات ، ويتباركوا بلمس الأمكنة التى عاش فيها رب المجــد ، وأمه العذراء ، ويوسف النجار ، والرسل والتلاميذ ... وفى هذا العــام بالذات حرم المؤمنون من هــذه الزيارة بسبب العدوان الاسرائيلى ، . فـكان ظهور العذراء ، وفى هذه الفترة بالذات ، تعويضاً عن زيارة هذه المقدسات ، وإنما على مجال أوسع وبطريقة أروع . وبدلا من أن يزور القدس بضع آلاف تجلت العذراء لآلاف الآلاف بشكل منقطع النظير لم يحدث

فى التاريخ المسيحى كله على مدى عصوره الطويلة . وكان ظهور العذراء فوق مذبح كنيستها المعروفة بإسمها فى ضاحية الزيتون ... داعيا لهذا التساؤل . لماذا فوق هذا المذبح بالذات ...

لماذا . . . : كنيسة الزيتون بالذات ؟

وبادىء ذى بدء نلاحظ أن ظهورها قرين المذبح ... لقد ظهرت فوق المذبح . والمذبح ، فى عهد النعمة ، هو جبل طابور العهد الجديد الذى يتجلى من فوقه رب المجد بجسده ودمه الأقدسين ... والمذبح هو قدس اقداس الكنيسة ، بيت الملائكة ، ومكان حلول القديسين والطاقة التى نطل منها على السماء .

وعن مذبح كنيستنا الخالدة تنبأ إشعياء فى العهد القديم قائلا : « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر ، وعمود للرب عند تخمها » [إش ١٩ : ١٩]

وكم لهذا المذبح من معجزات وأعاجيب . كم شعت منه أنوار ، وإنحدرت عليه بركات ، كم انبعثت منه قوى غالبة ، وصعدت عليه ونزلت ملائكة السماء حاملة صلوات العابدين ، وآتية بالاستجابة والقبول ؟ ؟

إنه مذبح الكنيسة الأولى ، قبل الانشقاق ، الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية ، على إيمان الآباء ، والمسيح نفسه هو حجر زاويتها . لم تتغير لا فى عقيدتها ولا فى طقوسها وإنما بقيت خط الدفاع

الأول عن الإيمان ، ودفعت فى هذا السبيل ثمناً غالياً . دما ثميناً وأرواحاً لم تبخل بها على مذبح التضحية والحب . من أجل هذا جعلها الرب فى المكانة الثانية مباشرة بعد أورشليم فلما أغلق الطريق أمام أبنائها إلى أورشليم كان طبيعياً أن تكون كنيسة مصر هى محل الرؤيا الإلهية ومتى ؟ فى ذات الوقت الذى يوافق موعد الزيارة ... حقاً إنها لأعجوبة تجعلنا نترنم مع إشعياء فى إبتهاج قائلين :

« يارب أنت الهى أعظمك ، أحمد اسمك لأنك صنعت عجبا ، مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق » [اش ٢٥ : ١]

كما نقول معه أيضاً :

« ويقال فى ذلك اليوم هوذا
هذا الهنا انتظرناه فخلصنا
هذا هو الرب إنتظرناه
نبتهج ونفرح بخلاصه »
[إش ٢٥ : ٩]

فوق هذا المذبح إذن ظهرت العذراء أم النور فى الضاحية الهادئة المتواضعة ، التى شرفتها بالزيارة والمرور من قبل ، ولا بد أنها توقفت عندها فى رحلتها وبقيت بها فترة من الزمن فباركتها وتركت فوق .

تربتها بذار الإيمان والبركة فأزهرت كنيسة مباركة ، ومذبحا مقدساً ناطقاً سمائياً .

ولا شك أن الكنيسة ، فى ظل هذه الرؤيا ، قد تمثلت فيها شخصية كنيستنا كلها وكأنها تسمع هذا الصوت السمائى الحلو ... « قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك » [إش ٦٠ : ١]

وما دام المذبح — كما تنبأ إشعياء — وسط أرض مصر ، فبلسان إرميا يترنم شعبنا المبارك من الرب قائلا : « وأنت فى وسطنا يارب وقد دعينا باسمك . لا تتركنا » [إر ١٤ : ٩]

وما هذه الترنيمة إلا صدى نبوة اشعياء فى القديم حين قال :

« ومفديو الرب يرجعون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم إبتهاج وفرح يدركانهم ، ويهرب الحزن والتنهد » [إش ٣٥ : ١٠]

وقال أيضاً :

« هؤلاء هم منتظرو الرب الذين يجددون قوة
يرفعون أجنحة كالنسور
يركضون ولا يتعبون
يمشون ولا يعيون »

(إش ٤٠ : ٣١)

وفى يقينى أن الرب حين إختار مصر ليدعو إسمه عليها — عندما قال « من مصر دعوت ابنى » (هو ١١ : ١) وعندما قال « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر » (إش ١٩ : ١) كما قال « مبارك شعبى مصر » نقول إنه حين قال هذا كان قد أفرز المصريين كشعب خاص له فصدق عليهم قول الوحى فى سفر اللاويين : « وتكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب ، وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لى » (لا ٢٠ : ٢٦) كما قال :

«وأجعل مسكنى فى وسطكم ، ولا ترذلكم نفسى ، وأسير بينكم ، وأكون لكم إلهاً وتكونون لى شعباً »(لا ٢٦ : ١١)

هذا هو شعبنا العتيد الذى أصبح فى الوقت الحاضر بديلاً للشعب اليهودى المتمرد الذى أهان المقدسات وتنكر للمذبح ، وقاوم الحق بل وصلبه ، فانتهى إلى رفض الرب له وحرمانه من أمجاده ... هذا فى إسرائيل أما فى مصر فالعذراء ، سفيرة السماء ، وأم المؤمنين ، تظهر متجلية كل يوم معلنة مجد المسيح متسامية بأنظارنا وأشواقنا وعواطفنا إلى السماء ، كارزة بيننا بالملكوت بمنح البركة حيناً ، وبعمل المعجزة أحياناً ؛ حتى تحولت بلدنا إلى قدس أخرى تأتيها الوفود من كل البقاع عابدة خاشعة .

أما إسم الزيتون فله فى ذاته وقع خاص فى آذان المسيحيين :

١ — فجبل الزيتون كان هو المكان الذى إعتاد أن يمضى إليه رب المجد للصلاة (لو ٢٢ : ٣٩) ، (يو ٨ : ١) وفى ليلة آلامه تشربت أرض هذا الجبل بقطرات العرق التى سالت من جبين الرب كالدم (ع ٤٣) .

٢ — وقرب جبل الزيتون صعد الرب إلى السماء فقد أخذ تلاميذه إلى بيت عنيا قرب هذا الجبل (مرقس ١١) ثم رفع يديه وباركهم ، وفيما هو يباركهم إنفرد عنهم وأصعد إلى السماء (لو ٢٤ : ٥٠) ويؤكد سفر أعمال الرسل هذه الحقيقة بقوله : « حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذى يدعى جبل الزيتون الذى هو بالقرب من أورشليم » (أع ١ : ١٢)

٣ — ومنذ بدء الخليقة وغصن الزيتون هـــو علامة السلام والمصـالحة .

ذلك أن نوحاً ، إذ أراد أن يعرف هل إنحسرت مياه الطوفان ، « وقلت عن وجه الأرض » (تك ٨ : ٨) أرسل الحمامة لكنها لم تجد مقراً لرجلها فرجعت ، وبعد سبعة أيام أخرى عاد فأرسلها « فأتت إليه عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها » (تك ٨ : ١١) ثم

رأى نوح أن المياه قد قلت عن الأرض ، أى أن غضب الله قد ارتفع عن الإنسان ...

ومنذ ذلك الحين ، وورقة الزيتون الخضراء تعرف بأنها رمز السلام والمصالحة فقد كانت رمزاً لظهور الشجر من جديد على وجه الأرض بعد أن أغرقها الطوفان ، أى رمزاً لعودة الحياة الطبيعية ، وبدء لعلاقة المصالحة الجديدة بين الله والإنسان ...

٤ — فلما جاء عهد الشريعة ، وأوصى الرب موسى بعمل خيمة الاجتماع كان لزيت الزيتون وظيفة هامة فى إضاءة السرج فقد جاء فى سفر الخروج : « وأمر الرب موسى قائلا وأنت تأمر بنى اسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون مرضوض ، نقياً للضوء لإصعاد السرج دائماً » [مز ٢٧ : ٢٠]

٥ — أما المزمور فقد رتل بلسان العذراء قائلا : « أما أنا فزيتونة خضراء فى هيكل إلهى » [مز ٩٢ : ١٢]

٦ — وكذلك يقول إرمياء « زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة دعا الرب اسمك » [إر ١١ : ١٦]

٧ — وفى ذكصولوجية ميلاد العذراء التى تقال فى يوم أول بشنس ، كما سبق الذكر ، ترتل الكنيسة : « السلام لك يا مريم ، السلام لك يا مريم

أصل الصديقين ، السلام للعفيفة أكثر من الملائكة ، السلام لشجرة الزيتون أساس المؤمنين ، السلام للمباركة أم يسوع » *

٨ — وفى كتب الكنيسة يدعو القديس اغريغوريوس العذراء « شجرة الزيتون اللذيذة التى أحيت ثمرتها كل انسان »

[راجع كتاب الدفنار — ص ١٤٦ — فى ذكرى تمجيد العذراء عند دخولها الهيكل — يوم ٣ كيهك] .

٩ — ومن المعروف عن شجرة الزيتون أنها من الأشجار الدائمة الخضرة . وهى تنمو فى الواحات وسط الصحارى ، وثمارها تصلح للطعام ، ومنها يؤخذ أنقى أنواع الزيوت ، ويستخدم لوظائف عديدة . وهى لذلك من الأشجار التى تزرع عادة فى حديقة الكنيسة . وفى عهد النعمة كانت أغصان الزيتون هى أداة التعبير عن الترحيب بدخول الرب إلى أورشليم فيشهد البشيرون أن الناس « قطعوا أغصان الزيتون وسعف النخيل » ليستقبلوا الرب عند دخوله المدينة التى ارتجت من أصوات الجموع وهى تقول « أوصنا فى الأعالى مبارك الآتى باسم الرب » وهى نفس الصيحة التى سمعت فوق كنيسة الزيتون فى أيامنا هذه . وإذا كان الشعب اليهودى قد عاش تحقيق نبوءة النبى زكريا فى القديم عن دخول الرب إلى

---

* راجع كتاب التماجيد المقدسة

أورشليم بقوله «قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان» ، فإن شعبنا قد عاش هذه الأيام رؤيا العذراء التى أتت كملكة وديعة تنحنى ناحية الجموع لتباركها، فتهلل بالفرح ، وتصيح بتمجيد الرب وكما شهد البشيرون بأنه عند دخول الرب إلى أورشليم « قد فرش الناس ثيابهم فى الطريق » [متى ٢١ : ٥ — ٨] هكذا شهدت بقعة الزيتون الهادئة هذه مجىء المؤمنين ، من مسيحيين وغير مسيحيين ، ليفرشوا ثيابهم من حول الكنيسة ، يجلسون عليها منتظرين ظهورها ، وهم يتوقعون الشفاء والبركة على يديها قائلين مع الحكيم « تحت ظله اشتهيت أن أجلس » [نش ٢ : ٣]

واستتبع هذا كله انطلاق الترتيل والألحان وهتاف الأطفال والكبار وإذ بالجو يصبح وكأنه جبل الزيتون فعلا الذى اعتاد الجميع زيارته فى مثل هذا الوقت من كل عام — أصوات ترتيل ، وعبادة ، وتهليل ، وتمجيد جو يشيع فيه الشفاء .

ولقد حاولت بعض الأصوات المتشككة إسكات هـذا التهليل والتمجيد — وقال أحد هذه الأصوات : إنها التكنولوجيا ، وقال صوت آخر إنها الرغبة فى الحصول على العملة الصعبة ، وثالث قال بل هى خيالات ومجرد أضواء منعكسة أما الرابع فاستنكر قائلا إنها

أوهام الناس فى مجتمع الأوهــام تصور لهم أطياف لا أساس لها، ولا وجود ... مجرد إيحاءات ... وصوت خامس ، وسادس ... لـكن سرعان ما تـكسرت هذه الاعتراضات . لقد أزيلت الأشجار المحيطة بالقباب ، وأطفئت الأنوار أكثر من ليلة وإذ بالرؤيا تسطع أكثر ، وإذ بالجموع تزداد ، وكثيرمن المتشككين سرعان ما عادوا وهم يقرعون صدورهم وكأنهم يقولون مع الصديق أيوب: « بسمع الأذن قدسمعت عنك، والآن رأتك عيناى » [أى ٤١ : ٥]

وتدخل العلم فى شهادة مجموعة من كبار رجال الفـكر والعلم عاينوا الرؤيا ، واعترفوا بها ، وأعلنوا ما رأوه ؛ ثم كان أن تبلورت الحقيقة كاملة باعتراف رجال الـكنيسة الذين تأكدت لهم الرؤيا واضحة ساطعة ، كما تأكد لهم ازدياد إيمان الـكثيرين ، وحدوث الـكثير من معجزات الشفاء ، مما كان له أعظم الأثر فى تغيير القلوب ونشر ملـكوت الله .

وهكذا تحولت بقعة الزيتون الهادئة إلى جبل زيتون آخر ، وإذ بالحاضر يتصل بالماضى ، بل إنه الفرح يتصل بالفرح ، كما قال معلمنا القديس ثاؤفيلس (البابا ٢٣) ، دون انقطاع ، فيعيش الناس وسط مقدسات العذراء ، وفى رحابها ، وهم فى مصر ، والطريق مغلق إلى القدس ؛ لـكن كل شىء مستطاع لدى الله ، ففى ذات الوقت الذى

كان يفترض أن يجتمع فيه الحجاج فى رحاب مقدسات الأراضى المقدسة ، وحرموا من رؤياها هذا العام ؛ كانت لفتة السماء إلى هذه النفوس العطشى إلى الرؤيا ، وإلى إعلانات السماء ، رسالة رؤوية معزية وشافية ومجددة ... فلك المجد ياالهنا ، مع نحميا نهتف قائلين بلسان الشكر «ملكنا أنت ومخلصنا... تضيء علينا دائماً بوجهك وترحمنا ... من السماء تتطلع وتنظر ، ومن مسكن قدسك ومجدك تنظر ، تعزينا وتملأنا فرحا وسلاما ... لأجل مراحمك الكثيرة لم تفننا ولم تتركنا لأنك إله حنان ورحيم » [نح ٩ : ٢١]

مناظر التجلى ودلالاته

لقد تعددت مناظر الرؤيا وتباينت أشكالها وصورها ... حمام ... سحاب ... صليب يضيء ... نجم لامع كأنه نجم المشرق الذى ظهر للمجوس ... برق ... ثم رائحة بخور عبقت الأرجاء ... ووسط هذا كله كانت أم النور تظهر . أحيانا بهيئتها كاملة ، وأحيانا بهيئة نصفية ؛ مرة بمفردها وهى تنحنى وتبارك الجموع ، وأخرى وهى تحمل رب المجد ، مرات عند القبة الشرقية البحرية ، ومرات أخرى عند الصليب فوق القبة الوسطى الرئيسية جهة الغرب ... وكثيراً ما سبق ظهورها ظهور سحب مشعة ؛ كما كان يتبع هذا الظهور ظهور الحمام المضيء الساطع البياض الذى يظهر ويختفى وهو يطير على مدى البصر بسرعه البرق ...

وكانت رائحة البخور العطرة التى ملأت أرجاء المكان هى التكملة الطبيعية لروحانية الجو .

فالعذراء هى « المجمرة الذهب حاملة العنبر فى يدى هارون الكاهن — يرفع بخوراً فوق المذبح ... هى العذراء القديسة مريم... بشفاعتها أنعم علينا بمغفرة خطايانا »

هكذا ترتل كنيستنا وتشدو للعذراء والدة الإله التى استحقت أن تكون سماء ثانية ...

ونحاول أن ندرس هذه الصور الرؤيوية التى صاحبت ظهور العذراء ، فى ضوء رموز الكتاب ، وتقاليد الكنيسة ، وتعاليم الآباء ...

أولا — ظهور الحمام : لاندرى كيف ألهم المصريون القدماء فجعلوا من الحمامة رمزاً للنفس ، أتراهم فطنوا إلى ما حدث أيام نوح ؟ وماذا حدث أيام نوح ؟

حدث أنه اراد أن يعرف إن كانت المياه قد قلت عن وجه الأرض ، فأرسل الحمامة ... يقول سفر التكوين « إن الحمامة لم تجد مقراً لرجلها ، فرجعت إليه إلى الفلك ، [تك ٨ : ٩] — وهكذا النفس حين لا تجد راحتها فى العالم سرعان ما تعود إلى الله مرساة النجاة ، ... هكذا فسر

الآباء هذه الآية فى معناها الرمزى ... ويؤكد هذا المعنى ما ألهم به الوحى الالهى داود عندما قال « قلبى وجسمى قد ابتهجا بالاله الحى . لأن العصفور وجد له بيتا . واليمامة أصابت عشا لذاتها لتضع فيه أفراخها ... طوبى لكل السكان فى بيتك يباركونك إلى الأبد » [مز٨٣]... وهكذا اقترن تشبيه العش ببيت الله ، والنفس التى تسكن هذا البيت باليمامة التى أصابت عشا ...

وإذا كان الفلك يرمز إلى الكنيسة ، وكذلك العش ، فإن الحمامة كما ترمز إلى النفس ، فهى ترمز إلى أرواح القديسين الذين تشبهوا بوداعة المسيح ، ومن تعاليمه له المجد « كونوا ودعاء كالحمام » [متى ١٠ : ١٦] فالحمام الذى يظهر يرمز لأرواح القديسين المحيطين بملكتهم العذراء أم النور ...

والحمامة فى زمن نوح هى بشيرة الخير والسلام . فقد أرسلها نوح ليعرف مدى انحسار المياه ، وبالتالى مدى ارتفاع غضب الله عن الانسان ، فجاءت فى المرة الثانية وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها [تك ٨ : ١١] وكان هذا المنظر نبع الهام دائم للفنانين على مدى التاريخ ؛ فالحمامة بغصن الزيتون الأخضر فى فمها رمز للسلام والوداعة .

فلما جاء رب المجد كانت الحمامة رمزاً روحياً لحلول روح الله . يقول القديس متى فى وصف موقف العماد : « وإذا السموات قد

انفتحت له ، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه ، وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » [متى ٣ : ١٦] وقد أكد القديس لوقا هذا المعنى بقوله : « وإذ كان يسوع يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة » [لو ٣ : ٢١] .

وقد شبه الآباء العذراء بالحمامة الحسنة ، ففى كتاب الدفنار ، وفى ذكرى دخولها الهيكل يقول التمجيد :

« السلام لك يامريم الحمامة الحسنة التى كانت تخدم دائماً فى بيت الرب » .

وفى كتاب التماجيد المقدسة يقول الآباء « يسوع المسيح إلهنا الحقيقى الذى أتى من أجل خلاصنا ، وصار جسدياً ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العروس الطاهرة ، وقلب حزننا ، وكل ضيقنا إلى فرح قلب ، وتهليل كلى ، فلنسجد له **ونرتل لأمه مريم الحمامة الحسنة** ونصرخ بصوت التهليل قائلين السلام لك يامريم أم عمانوئيل ، السلام لك يامريم خلاص آدم أبينا ... الخ » .

وبالإضافة إلى تميز الحمامة بالوداعة ، فهى أيضاً تتميز بالسرعة ، حتى استخدمت بعض أنواعها فى إرسال المكاتبات من بلد إلى آخر ..

وهى خدمة جليلة فى وقت لم تكن سبل المواصلات السريعة قد عُرفت بعد ... لهـذا ربط التمجيد بين العذراء الحمامة الحسنة ، وبين الخدمة الدائمة ...

وفى القداس يحييها الأب الكاهن فى أثناء إعطاء أيادى البخور قائلا : افرحى يامريم الحمامة الحسنة التى ولدت لنا الله الكلمة ...

أما لحن الابركسيس فيقول فيه الآباء : السلام لمريم الحمامة الحسنة ...

ثانيا – ظهور السحاب المنير . ومنذ عهد نوح والسحابة هى رمز العهد بين الله والإنسان ، رمز العلاقة ، والمصالحة ، والميثاق . يقول سفر التكوين : « وقال الله هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر . **وضعت قوسى فى السحاب** فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض . فيكون متى أنشر سحابا على الأرض ، **وتظهر القوس فى السحاب** أنى أذكر ميثاق الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد »
[تك ٩ : ١٢]

ثم يتابع الوحى حديثه قائلا . « فمتى كانت القوس فى السحاب ، أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً ، بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد

على الأرض . وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذى أنا أقمته بيى وبين كل ذى جسد على الأرض » [تك ٩ : ١٦ ، ١٧]

وهكذا كانت السحابة هنا **رمزا للعهد الجديد والمصالحة والميثاق بين الله والناس** فى العهد القديم ، كلما رآها تذكر عهده وحبه وأبوته وحنانه فيرجع عن حمو غضبه ...

فلما خرج بنو إسرائيل من مصر كان الرب يسير أمامهم نهاراً **فى عمود سحاب** ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضيء لهم . لكى يمشوا نهاراً وليلا . لم يبرح عمود السحاب نهاراً ولا عمود النار ليلا من أمام الشعب (خر ١٣ : ٢١ — ٢٢)

ونرى هنا أن السحابة **رمز الهداية** . يقول المزمور ٩٨ « كانوا يدعون الرب وبعمود الغمام كان يكلمهم » وفى السفر نفسه نجد للسحابة معنى آخر ، معنى المجد والجلال والبهاء . ففى الأصحاح الأربعين يقول الوحى الالهى : « ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن » (خر ٤٠ : ٣٤) وفى المزامير يقول داود النبى « رتلوا لإلهنا بالقيثارة الذى يجلل السماء بالغمام » (مز ١٤٦)

وفى سفر العدد عند الحديث عن إقامة المسكن يذكر الوحى الإلهى بأنه فى يوم إقامة المسكن « غطت السحابة خيمة الشهادة » .

وفى عهد سليمان ، عند تدشين بيت الرب ، كما جاء بسفر الملوك الأول ، يقول الوحى الالهى « وكان لما خرج الكهنة من القدس أن السحاب ملأ بيت الرب ، ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب » [ملوك أول ٨ : ١٠، ١١]

فهنا السحاب يرمز للمجد والبهاء .

وبطبيعته فإن السحاب يرمز أيضاً إلى الارتفاع والعلو .

كما أنه يشبه المظلة .

وهذه المعانى كلها تجسدت فى الواقع والحقيقة فى ظهور العذراء. فقد اقترن هذا الظهور بالسحاب المنير الساطع البياض ... وهكذا تجددت المعانى الروحية الحلوة التى ذكرها الكتاب المقدس ... ولم يخل العهد الجديد من منظر السحاب الساطع . ففى منظر التجلى ، وهو قمة الرؤى بلا شك فى العهد الجديد، ظهرت السحابة كمظلة نيرة كما يقول الكتاب .

إن القديس بطرس حين بهره منظر يسوع وقد أضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، صرخ دون أن يشعر قائلا : «يارب جيد أن نكون ههنا ... فإن شئت نصنع هنا ثلاث مظال : لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة . وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا » [متى ١٧ : ١ — ٥]

ومن دلائل بهاء السحاب ، وأنه علامة المجد فى العهد الجديد ، أن مجىء الرب سيقترن به . قال الرب لرئيس الكهنة وقت محاكمته وعند سؤاله « أأنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً فى سحاب السماء » [مر ١٤ : ٦١ — ٦٢]

وفى رؤيا يوحنا اللاهوتى «هوذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين » [رؤ ١ : ٧]

والسحاب علامة الجلال والروعة ، ورمز العلو والرفعة .

فمن صعود الرب يقول مؤرخ سفر أعمال الرسل « وأخذته سحابة عن أعينهم » [أع ١ : ٩]

فكان منظراً خارقا ظل فى خواطرهم يلهمهم القوة والبذل والتفانى فى الكرازة .

ولقد صحب ظهور العذراء ظهور سحب منيرة ، سرعان ما كانت تتجلى من وسطها هيئة العذراء لامعة براقة ...

وقد شبه الآباء العذراء بالسحابة — ذلك أن إشعياء تنبأ فى القديم قائلا : « فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها » [إش ١٠ : ١] فهى السحابة ، كما يقول القديس اجروسيوس ، « التى دلتنا على الاله الوحيد الجنس[1] »

(١) راجع ثيئوتوكس — والدة الآله — ص ٩٤

ويقول تمجيد دخول السيد المسيح أرض مصر فى ٢٤ بشنس :
« فلنسبح المسيح الخالق ، الذى افتقدنا نحن شعبه ، هو جاء إلى مصر فى سحابة خفيفة التى هى مريم أمه الملكة »

فإذ نشبه العذراء بالسحابة انما نرمز إليها بالهداية ، وحمل الرسالة ، وبعلامة السماء وأداتها فى إظهار أمجادها وبهائها .

هكذا كانت أم النور السحابة النيرة التى حملت رب المجد إلى مصر ، والنور الهادى أمام بنى اسرائيل فى البرية رمز إلى رسالتها كوالدة الإله .

ألم تهد أهل العرس قائلة « مهما قال لكم فافعلوه » ؟

ونلاحظ أن مناظر السحاب والحمام كانت تظهر فى نور خاطف ساطع ؛ تماما كالذى ذكر عنه الكتاب المقدس . إن رؤى السماء هى دائما رؤى منيرة ساطعة . المجوس ظهر لهم نجم منير متميز عن باقى النجوم بسطوع ضوئه ووضوح أبعاده .

وساعة التجلى أضاء وجه الرب كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور رغم أن الوقت كان ظهرا .

ووقت القيامة كان منظر الملائكة كالبرق ولباسه أبيض كالثلج (متى ٢٨ : ٣)

والملاكان اللذان تحدثا إلى الرسل بعد صعود الرب كانا بلباس أبيض (أع ١ : ١٠)

وشاول الطرسوسى وهو فى طريقه إلى دمشق « أبرق من حوله فجأة نور من السماء » (أع ٩ : ٣)

وهكذا يُعتبر اللون الأبيض ، لون النور والضياء ، هو اللون الأساسى للرؤى السماوية ولايهم فى ذلك إن كانت هذه الرؤى نهاراً أو ليلا وإن كانت بطبيعة الحال تُرى ليلا بأكثر وضوح خاصة وأن الرب قام والظلام باق ثم كان ظهوره للتلاميذ فى المساء (راجع يو ٢٠ :١٩)

ثالثا : انتشار رائحة البخور: فما أسرع ما تذكرنا بآية القديس يوحنا حين دهنت مريم — أخت مرثا وأخت لعازر — قدمى يسوع « فامتلأ البيت من رائحة الطيب » (يو ١٢ : ٣)

هكذا امتلأت رائحة حى الزيتون بخورا عبقا بالغ الجمال اشتم فيه الجميع رائحة حلوة ...

والبخور دائماً مرتبط بالمجمرة . والعذراء هى المجمرة التى حملت اللاهوت وفى هذا تطبيق مباشر لحادث العليقة . والمجمرة إما أن تُستخدم لوضع حجر النار المشتعلة فقط أو لإصعاد البخور[١]

وتشبيهها بالمجمرة حاملة حجر النار فقط يفيد حملها للطبيعة الالهية. أما تشبيهها بمجمرة البخور فهنا فكرة حملها المسيح بصفته الكاهن الاعظم .

(١) ثيئوتوكس — ص ٤٣

هذه هى الأشكال والصور التى صاحبت ظهور والدة الإله ، وكلها ذات دلالات موحية عميقة كما أن لها جذوراً كتابية أضيفت إليها تماجيد الآباء . مما يجعل لهذا الظهور معنى روحيا عميقا وشاملا :

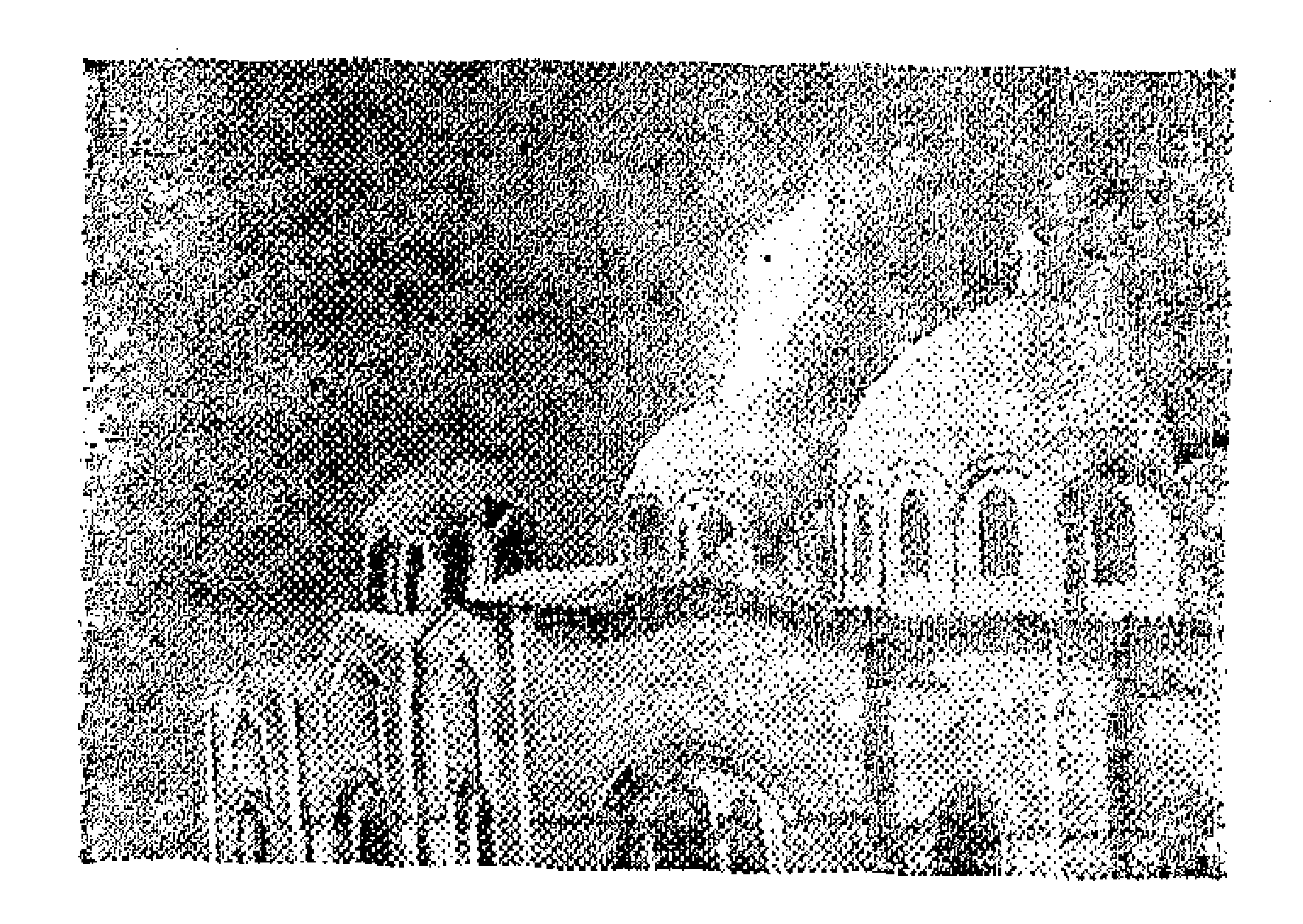
أنه فوق المذبح
أنه فى حى معين
أنه فى وقت معين
بظهورات متعددة
وفى أوقات متباينة
وأمام ألوف الألوف
ومقترن بصور روحية
لها جذورها فى التعليم والتقليد

ثم إنه ، أولا وأخيراً ، ظهور مبارك لأن ثماره أكثر من أن تحصى وهذا هو موضوع الفصل الثالث .

الفصل الثالث

معجزات العذراء

- تأكد رؤيا العذراء
- بعض المعجزات التى حدثت نتيجة تجلى العذراء



تأكد رؤيا العذراء

بعد أن ظهرت العذراء لمدة ثلاثة أسابيع ، وتحقق ظهورها وتجليها للكثيرين ، كتب أحد الصحفيين متسائلا : معجزة أم إيمان أم قوة إيحاء جبارة تنبعث من الألوف الذين جاءوا على تأكيد الآخرين بأنهم رأوا العذراء ، ويعيشون الليل بطوله وسط مشهد ديني مثير نابض بالتراتيل والصلوات والدعوات والأفكار الممتدة بعيداً إلى القدس الحبيبة حيث أوقف العدوان هذا العام جماهير الأقباط من الاتجاه إليها حجا وتقديسا ؟

أم هو — ووسط هذا الجو كله أيضاً — مجرد خداع يقع فيه النظر عندما تتسلط أضواء الشارع وأنوار جراج هيئة النقل على نوافذها الملونة ؟؟ ...

شكوك شاعت بين بعض الذين سمعوا عن هذا التجلي العظيم . ومرحبا بالشك إذا كان طريقاً إلى اليقين[1] . ومع ذلك فقد جاءت الردود على هذا الشك واضحة ناصعة .

ففي المؤتمر الصحفي الذى انعقد بالبطريركية[2] سأل أحد الصحفيين :

---

(١) راجع انجيل القديس يوحنا ٢٠ : ٢٦ — ٢٩

(٢) فى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم السبت ٤ مايو سنة ١٩٦٨

هل كانت هناك رسالة ما من السيدة العذراء ؟ فأجاب نيافة الأنبا أثناسيوس : ورد فى البيان أن الظهور كان مصحوبا بأمرين : الأول : انتعاش روح الإيمان بالله والعالم الآخر والقديسين ، وإشراق نور معرفة الله لمن كانوا بعيدين عنه مما أدى إلى توبة العديدين وتغيير حياتهم . الثانى : حدوث آيات باهرة من الشفاء المعجز لكثيرين ثبت علميا وبالشهادات الجماعية .

أما الرد الثانى فيأتى على لسان الأب القمص قسطنطين موسى كاهن الكنيسة ... لقد قال فى ثقة :

لا . ليس خيالا ... فبعد غروب يوم ٢ إبريل بنحو ساعة ونصف ساعة كنت بمنزلى على بعد خطوات من الكنيسة . وإذ بخادم الكنيسة واسمه إبراهيم يدخل علىّ فزعا وهو يقول بصوت مرتجف « إلحق ... العذراء مريم ظهرت فوق القبة الشرقية ... » وأرسلت معه ابنى نبيل الطالب فى الجامعة الذى عاد مسرعاً ليؤكد الخبر . ونزلت إلى الكنيسة حيث شاهدتها بعينى : صورة نورانية نصفية للسيدة العذراء خارج القبة الشرقية ، وعدد من المارة حول الكنيسة يهللون ويكبرون ... ولقد حاول عدد من عمال جراج هيئة النقل المواجه لسور الكنيسة أن يسلطوا ضوءاً كشافاً على الصورة النورانية ولكنها ازدادت تألقاً ونوراً ... استمرت صورتها واضحة بضع دقائق ثم اختفت ... وحاولت

أن أكذب نفسي وعيني حتى كانت ليلة ٩ إبريل حين شاهدتها كاملة منحنية، بحجمها الطبيعي، على القبة الكبرى التي تحمل الصليب، ونظراتها إلى أسفل كما تبدو في صورتها التقليدية بالكنيسة. وقد استمر منظرها نحو عشر دقائق ثم اختفى. وفي الليلة التالية شاهدتها للمرة الثالثة بالحجم الطبيعي أيضاً لكنها هذه المرة مدت يدها إلى الجماهير المحتشدة أمام الأسوار بغصن زيتون، ومن فوقها طارت بضع حمامات بيضاء. ساعتها اقتنعت أنها السيدة العذراء بالفعل جاءت لتبارك الناس» ...

لكن الشهادة بالظهور لم تأت من رجال الكنيسة فقط، وإنما جاءت من آلاف المواطنين، على اختلاف الدين والعقيدة والقومية ...

وهذه شهادة الدكتور ابراهيم سعيد[1] رئيس الطوائف الانجيلية بمصر. قال: «إن من بين الجموع التي شاهدت العذراء شخصيات معروفة بدقة حكمها على الأشياء وتقديرها للأمور، ولاشك في صدق ما شهدته وروته تلك الشخصيات. واذا كان الله قد سمح بأن تظهر لنا العذراء في هذه الأيام فلعل ذلك لتعويض الناس عن زيارة القدس هذا العام، فجاءت هي إليهم لتشد ازرهم» ... واستطرد رئيس الطوائف الأنجيلية قائلا: «ليس ما أقوله لك الآن عن العذراء أقوله لأول مرة فقد قلته عقب عظة

---

(١) جريدة وطني — العدد الصادر بتاريخ ٥ مايو سنة ١٩٦٨

الأحد الماضى بالكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة إذ رأيت على المنبر ورقة يسألنى كاتبها عن رأيى فى ظهور العذراء » ... وابتسم الدكتور ابراهيم سعيد وهو يمضى فى حديثه قائلا : « لقد كاد ظهور العذراء يتسبب فى تعطيل الاجتماع الذى يعقده ابنى الدكتور مفيد بالكنيسة فى الساعة التاسعة صباح الأحد فإن كثيرين من الشباب الذين يشتركون فى هذا الاجتماع لم يكن فى مقدورهم أن يحضروا إليه فى الصباح بعد أن سهروا الليل بطوله أمام الكنيسة القبطية بالزيتون »

أما الكاردينال اسطفانوس الأول بطريرك الاقباط الكاثوليك فى مصر فقد أدلى بحديث قال فيه:[1] «لقد قوبل ظهور العذراء فى الكنيسة القبطية الارثوذكسية بالزيتون بالفرح والابتهاج من الجميع وإن عددا كبيرا من أبنائى رووا لى تفاصيل رؤيتهم للعذراء فى قبة الكنيسة مما يؤكد أنه ظهور حقيقى لا يخامرنى فيه أى شك » ... ثم ذكر أن راهبة كاثوليكية اسمها بولادى موفالو معروفة بتحريها الدقة روت له وجسمها ينتفض كيف أنها شاهدت بعينيها العذراء فى قبة الكنيسة ، وليست هى وحدها التى شاهدتها بل رآها معها الألوف من أفراد الشعب ... » ثم عقب على ذلك قائلا : إن هذه المعجزة الفريدة تنطوى على رسالة تبشر

(١) راجع جريدة وطنى — العدد الصادر بتاريخ ١٨ إبريل سنة ١٩٦٨

بالخير ، كما أنها ستجعل من هذه الكنيسة مزارا عالميامقدسا يجتمع إليه الناس من جميع أنحاء العالم » ...

* * *

هذا عن شهادة إخوتنا من العقائد المسيحية الأخرى فما هو رأى أحبائنا من غير المسيحيين ؟

قال السيد مأمون عفيفى مدرب سائقى هيئة النقل العام[١] « كنت ساهرا بالجراج المواجه للكنيسة ، وفى الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليلة الثلاثاء ٢ إبريل سنة ١٩٦٨ سمعت عبد العزيز خفير الجراج الواقف بالباب يصيح بصوت عال : « نور فى القبة » فخرجت بسرعة وشاهدت بعينى سيدة تتحرك فوق القبة ويشع منها نور غير عادى أضاء ظلمة المكان المحيط بالقبة ، وظل بصرى متعلقاً بها ، ودققت النظر إليها فتبينت أنها العذراء ، ورأيتها تمشى فوق القبة الملساء وجسمها شعلة من النور ، وكانت تسير بهدوء إلى أن دلفت بين أعمدة القبة فلم أتمالك من أن أهتف بالآية التى جاءت عنها بالقرآن الكريم « إن الله إصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ثم رفعت يدى وقرأت الفاتحة »

أما الخفير عبد العزيز فقد قال : إنه ما كاد يبصر العذراء جسما

(١) العدد المذكور من وطنى بتاريخ ٢٨ إبريل سنة ١٩٦٨

نورانياً فوق القبة « حتى أخذت أصيح « نور فى القبة » وناديت حسين عواد الذى أسرع ومعه آخرون من العمال وشاهدوا العذراء وهى تتحرك فوق القبة ، وقلت إن الناس حرموا فى هذه السنة من زيارة العذراء فى القدس فجاءت إليهم تزورهم بنفسها » ...

وتكلم حسين عواد الحداد بجراج النقل « رأيت العذراء فوق قبة الكنيسة جسما من النور الوهاج يضىء المكان كضوء الشمس، وكانت العذراء تمسك بيدها ما يشبه غصن الزيتون ، ودققت النظر فيها حوالى عشر دقائق ، وتأكدت منها . وبدأت تتحرك فى الظلام والنور يشع من جسمها إلى جميع الجوانب المحيطة بها ، وبعد ذلك بدأ النور فى هيئة دائرة تتوسطها العذراء ، وسارت بعد ذلك إلى إحدى فتحات القبة فانبعث من داخلها نور وهاج لم أشهد مثله من قبل » ...

أما ياقوت على بالجراج نفسه فقد أخذ يصف كيف كانت العذراء تسير فوق القبة فقال « إنها كانت جسما نورانياً محلقاً فى الفضاء ، وما تكاد قدماها تلامس سطح القبة حتى تتحركا فى هدوء ، تحيط بها هالة من الوقار والقداسة ، حتى إن الذين شاهدوها وقفوا فى خشوع وهم مأخوذون بالمنظر الباهر إلى أن غاب داخل القبة »

وشارك العلماء فى إثبات هذه الرؤيا العظيمة فقد سجلت جريدة

وطنى فى عددها الصادر بتاريخ ٥ مايو ما شاهده الأستاذ الدكتور لويس مرقس رئيس قسم اللغة الانجليزية بجامعة عين شمس ، فقد كتبت جريدة وطنى :

بعض من شاهدها .

«وقف بعض من شاهد العذراء من الحاضرين يروى تفاصيل رؤيته لها ، فقال المهندس فوزى منصور رئيس الهيئة التنفيذية لبناء الكاتدرائية المرقسية بالعباسية إن بين الذين شاهدوها الدكتور لويس مرقس رئيس قسم اللغة الإنجليزية بجامعة عين شمس ، وحضر الدكتور لويس وقال إنه قدم شهادة مكتوبة للبطريركية سجل فيها رؤيته العذراء بكنيسة الزيتون فى الساعة الرابعة إلا ربعاً صباح الأحد الماضى وفى الساعة الرابعة إلا ربعاً صباح الثلاثاء الماضى وكان الضوء يشع من جسمها النورانى .

ووقف الدكتور مينا تادرس وقال إنه شاهدها وأسرته وكان جسمها النورانى واضحاً .

وروى الأستاذ زكى شنودة المحامى ومدير المؤتمر الآسيوى الأفريقى كيف شاهدها ، وقد نشرنا تفاصيل روايته فى التحقيق الصحفى المنشور بهذا العدد ، وختم حديثه قائلا « أستطيع أن أقول إننى ولدت ولادة جديدة بعد أن رأيت العذراء ، ثم تولى بنفسه ترجمة شهادته إلى اللغة الانجليزية

وكان للفن دوره فى إثبات هذا التجلى العظيم فبمجرد اشاعة الخبر سارع بعض المصورين ، وفى مقدمتهم المصور وجيه رزق ، لتسجيل هذا الحدث العظيم بالصورة ... يقول وجيه(١)

« نحن فى حى الزيتون وقد هزنا نبأ ظهر السيدة العذراء فهرعنا لنرى ونتأكد . ذهبت يوم ٩ إبريل وكان من حسن حظى أن رأيتها فى الساعة الثالثة إلا ربع . رأيتها على هيئة ضياء مشع فى شكل سحاب . وكان الضوء قويا إلى حد أن البصر لايستطيع أن يتحمله . رأيتها بجوار الصليب فوق القبة الشرقية الصغيرة . كان المنظر عجيباً بالنسبة لى ... شعرت بالخشوع والرهبة من الموقف كأن كهرباء مستنى ، واستمر الظهور نحو ٤ دقائق عدت بعدها إلى منزلى . كان تعرقى تلك اللحظة تعرف رجل فقد قوة السيطرة على التفكير . ولم أستطع وأنا فى سريرى أن أغمض عينى . وظل تفكيرى بعد ذلك منصرفا إلى تصوير هذه المعجزة ... وفى يوم ١٠ إبريل أخذت الكاميرا معى ، وكذلك يوم ١١ لكننى لم أستطع التصوير ... وفى يوم ١٢ إبريل فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين ظهرت العذراء واستمر ظهورها عشر دقائق ... وكان سرورى عظيما لأننى تمكنت من التقاط صورتين لهـا : الصورة الأولى اتضح لى بعد التحميض أنها مهزوزة .

---

(١) جريدة الأخبار بتاريخ ٦ مايو سنة ١٩٦٨ .

لم تكن كاملة الوضوح ، أما الصورة الثانية فقد ظهرت بعد التحميض كاملة الوضوح ؛ ومن روعة الموقف كنت أشعر أنني لا أقف فوق أرض صلبة ... العدسة التي صورت بها هي عدسة ستوديو بعدها البؤرى ٢١سم وفتحتها ٤,٥سم. وأثناء التصوير فتحت العدسة على ٨، وقدرت مدة تعريض الفيلم على أساس النور الموجود في المكان فعلا والصادر من مصابيح الجراج المواجه للكنيسة ، وكان تقديرى على هذا الأساس حوالى ٣٠ ثانية . وحمضته تحميضاً عادياً كما أحمض بقية الأفلام في الأستوديو »

وفي يوم ٥ مايو نشر الأهرام في صدر صفحته الأولى الصورة التي التقطها المصور الفنان وجيه رزق وكتب تحتها العبارات الآتية: « اشترى الأهرام هذه الصورة من مصورها بعد التقاطه لهذه الظاهرة التي أصبحت موضع اهتمام واسع وكبير وهي ظهور السيدة مريم العذراء فوق الكنيسة المعروفة بإسمها في الزيتون ... وقد قرر قسم التصوير في الأهرام الذي قام بطبع الصورة عن الفيلم الأصلي أنه لم يكن بالفلم أى أثر للمونتاج ، والأهرام ينشر الصورة كما هي »

وجاء البيان البابوى، ثم بيان وزارة السياحة ، ولأهميتهما الخاصة نشرناهما في صور هذا الكتاب ، مؤكدين لهذا الحدث العظيم ،

معترفين بهذا التجلي الفريد[1]، ومعلوم جيداً أن هذين البيانين صادران عن جهتين كبيرتين مسئوليتين أمام الرأى العام العالمى ، وأمام الرأى العام الدينى والكنسى .

مقام الكهنوت : وكان للكهنوت أثره البالغ فى هذا الظهور. فللكهنوت كرامته العظيمة فى كنيستنا . وقد سبق أن سجلنا شهادة الأب القمص قسطنطين موسى بصحة الرؤيا عقب سماعة عنها من خادم الكنيسة ، وكان طبيعياً أن يأتى بعض الآباء المطارنة للتحقق من هذا التجلى العظيم .

فى مساء الإثنين ٢٩ إبريل وصل نيافة الأنبا أثناسيوس مطران إيبارشية بنى سويف يصحبه وفد من إيبارشيته فى الساعة العاشرة مساء وبقوا حتى الخامسة والنصف من فجر الثلاثاء ٣٠ إبريل . يقول الأنبا

لعله مما لايخفى على أحد ذلك الفرق العظيم بين تجلى العذراء فوق قباب مذبحها بالزيتون ، وبين ظهورها فى سات فاتيما بالبرتغال فى نوفمبر سنة ١٩١٧ ، ثم فى لورد بفرنسا فى فبراير سنة ١٨٥٨ . [راجع عدد وطنى الصادر فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٦٨]

كما يختلف ظهورها فى القدس فى ٢٨ / ٦ / ٦٤ منذ أربعة عشر سنة حيث أقيمت فى نفس مكان ظهورها كنيسة « ظهور العذراء » . [راجع أهرام ٥ مايو سنة ١٩٦٨]

أثناسيوس : «لقد ذهبت وفى ذهنى صورة معينة يجب أن أرى العذراء فيها . لقد قلت فى نفسى : إذا لم أرها فى شكلها الكامل فلن أؤمن .

فماذا حدث ؟ لقد شاهدتها بنفسى ، مع ألوف الجموع حول الكنيسة ، شاهدت العذراء جسماً مشعاً يتحرك فوق سطح الكنيسة من الساعة الثالثة إلا ربع إلى الخامسة فجر الثلاثاء . لقد ظهرت بوضوح كامل بصورة مذهلة طوال هذه المدة . لم تكن مجرد صورة تتراءى للناس وإنما كانت جسماً كاملاً متلألئاً ، إنه منظر مبهج فعلاً يقصر اللسان عن وصفه .

أما بدء ظهورها فكان فوق سطح الكنيسة من الناحية الغربية . وسبق ظهورها انطلاق حمامتين بيضاوين من فوق قبة الكنيسة ، وكان انطلاقهما كالصاروخ ثم غابا عن الأنظار فى الفضاء . وظهر بعد ذلك ضوء بدأ خافتاً كسحابة ثم توهج فجأة كمصباح ضوء الفلورسنت ، وبدت العذراء جسماً كاملاً مشعاً وصورة ناطقة واضحة المعالم ، وتحركت فوق سطح الكنيسة فى تؤدة ، وأخذت تتطلع إلى الجموع بنظرات حانية ثم بسطت يديها فى حركة روحية وديعة مليئة بالبركة ، لا أستطيع أن أصفه . أحياناً كان وجهها يتجه إلينا ، وأحياناً أخرى كان يتجه إلى الجانب الآخر تحيط به هالة من النور أينما اتجهت ؛ وقتها تذكرت قصة التجلى المدونة فى الإنجيل المقدس . حقاً لقد تجلت العذراء للناس بشكل عجيب وعلى مدى ساعتين إلا ربع ظلت هكذا

ظاهرة أمامهم ظهوراً متصلا وهم يصلون ويتضرعون ويرتلون ... إن الذين عاشوا هذه اللحظات لن ينسوها مدى حياتهم ؛ وحتى بعد أن غابت العذراء عن الأنظار واختفت صورتها ظــل الناس يحملقون فى مكان ظهورها ، وكأنهم يريدونها أن تعود مرة أخرى »

أما الأنبا اغريغوريوس أسقف البحث العلمى الكنسى* الذى أكد رؤيته لها أكثر من مرة ، فقد قال : «إن هذا الظهور أكبر من أن يوصف بأنه طيف . فقد تكرر ظهورها مجسمة فى شكل نور وليس مجرد طيف أو خيال عابر . ولو لم تظهر بأشكال مختلفة فى أوقات متفاوتة لقال الناس إنها الأضواء أو النور المنعكس على النخله ، ولكنها تظهر بأشكال ومناظر مختلفة وفى أماكن متعددة فوق القبة الكبيرة وبجوار الصليب وداخل فتحات القباب الجانبية ، وإن عدم ظهورها لبضعة ليال على الرغم من أضواء الجراج والنخلة دليل على ظهورها فى الليالى السابقة ، وعلى أنه ظهور حقيق وليس خداعا . ومما يؤكد بركات هذا الظهور أن الأيام التى لاتظهر فيها العذراء لاتخلو من حدوث بعض المعجزات ؛ فهى موجـــودة فى الوقت الذى يتصور فيه الناس أنها لاتظهر . وقد تظهر بأشكال مختلفة لا يتبينها الناس ، وتبدو آثار ظهورها فيما يجرى للناس من معجزات . فى مساء الأربعاء ٨ ، والخميس ٩ مايو مثلا قال الناس إن العذراء لم تظهر ، وفى هذا الوقت بالذات حدثت معجزة شفاء لسيدة مسلمة مصابة بالشلل ؛ لقد جاءتنى السيدة روشتات

* رئيس لجنة تقصى حقائق معجزات الشفاء .

الأطباء ، وقالت إنه بعد أن عجز الطب عن شفائها استردت صحتها أثر مشاهدتها للعذراء فوق قباب مذبحها بالزيتون .

وذكر الأنبا إغريغوريوس أنه فى اليوم السادس من هاتور من كل عام ، وهو ذكرى تشييد الكنيسة الأثرية المعروفة بأسم العذراء بالدير المحرق ، كثيراً ما ترى العذراء هناك فوق قباب الكنيسة والدير . يراها الجمهور المحتفل بها وقد يتجاوز عدده المائة ألف عداً ، يرون طائراً أبيض كبير الحجم ينساب فى سرعة وخفة فى ساعة متأخرة من الليل ، يقطع سماء الدير من المدخل إلى أقصى الدير ، ويطوف دائريا ثم يختفى . ثم يعود إلى الظهور ويدور حول القبة حيث الكنيسة الأثرية المعروفة بأسمها وبها المغارة التى مكثت بها العذراء ، وهى لذلك تعتبر تاريخيا أقدم من الدير نفسه .

ثم يقص نيافته ما حدث بكنيسة العذراء بالمعادى ، ومعروف أن من عندها استقلت العائلة المقدسة مركباً صعد بها فى النيل إلى الصعيد حيث انتهى مسارها إلى المكان المعروف حاليا بالدير المحرق . فى هذه الكنيسة كانت بعثة سينمائية تصور الكنيسة والأيقونات التى بها وإذا بنور وهاج يظهر امامهم على لوح زجاج فيسود الخوف والرهبة مشاعر أعضاء البعثة السينمائية ويقفون فى مكانهم مذهولين وهم يحملقون فى النور الساطع الظاهر على اللوح ... واستمر هذا النور

بضع دقائق ثم اختنق . وكان أحد هؤلاء الأعضاء مصابا بتورم متعظم في أحد أصابعه يحتاج إلى جراحة ، وإذا به في إيمان يضع إصبعه على اللوح وفي اليوم التالي لم يجد له أثراً ، فتعجب وذهل...

وطبيعي أننا كبشر عند رؤية المناظر السماوية نصاب بالكثير من الذهول ويعترينا نوع من الانبهار والدهشة وربما الخوف والرهبة . التلاميذ الثلاثة في موقف التجلي حدث لهم هذا . يقول الانجيل : « ولما سمع التلاميذ الصوت سقطوا على وجوههم وخافوا جداً » (مت ١٧ : ٦) وكذلك الرعاة حين وقف بهم ملاك الرب ومجد الرب أضاء حولهم « خافوا خوفاً عظيما » (لو ٢ : ٩) ولذلك نجد أن الكلمة الأولى لسفراء السماء حين يظهرون لنا على الأرض هي دائما « لا تخافوا » . هكذا قال الملاك للرعاة « لا تخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ... » (لو ٢ : ١٠)

وهكذا قال للعذراء نفسها إذ يذكر القديس لوقا أن العذراء لما رأت الملاك « اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية » (لو ١ : ٢٩) فقال لها الملاك : « لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله » (لو ١ : ٣٠)

وشاول الطرسوسي حين أبرق حوله نور سقط على الأرض وسمع صوتا قائلاً له « شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ » فقال « من أنت

يا سيد . فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفس مناخس » فقال وهو مرتعد ومتحير ... « يارب ماذا تريد أن أفعل؟ » (أع ٩ : ٣ — ٦)

ولعل هذه العبارة هى ذاتها التي يقولها المعاينون لرؤيا العذراء «يارب ماذا تريد أن نفعل ؟ » ، ولعلهم يضيفون إليها عبارة القديس بطرس « يارب إلى من نذهب ، كلام الحياة الأبدية عندك ؟ » (يو ٦ : ١٨)وإذ يرفعون أعينهم ويرون أمهم الحنون تتجلى فوق قباب الكنيسة ترتفع قلوبهم إلى الله ، وتشتاق نفوسهم وأرواحهم أن تتحد بالسماء وعالم النور والحق فيؤكدون الاعتراف بإيمانهم متابعين القول مع بطرس « ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى »(يو ٦ : ١٩)

وهكذا يصبح ظهور العذراء بركة للمؤمنين ، وواسطة لتثبيت إيمانهم بالفضيلة والتسامى بعواطفهم وبأشواقهم إلى الحياة الأفضل فى المسيح فتحقق صلاته الشفاعية له المجد عندما طلب قائلا : « احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى ليكونوا واحدا كما نحن » (يو ١٧ : ١١)

وكثيراً ما اقترن هذا الانبهار برؤيا العذراء — سفيرة السماء إلينا — بالانفعالات القوية ، والدموع الحارة . ففى فجر الثلاثاء ٣٠

أبريل وقد بدت العذراء كاملة الوضوح تتحرك وتبسط يديها للناس كأنها تباركهم وتتلفت نحو الجماهير فى جوانب الكنيسة حتى زاد انفعال الناس فامتزجت الدموع بالفرح ، وارتفعت بالدعوات والابتهالات من كل جانب ، وعاش الناس قرابة الساعتين أمام العذراء فى جو قدسى وهم منفعلون بالرؤيا الباهرة ، وإذ ببعض العمال يبكون فى حرقة طالبين المغفرة قائلين « سامحينا يا عذراء » فلما سألهم المحيطون بهم عن خطبهم أجابوا بأنهم كانوا يسخرون من الجموع ، وينكرون هذا الظهور فلما ظهرت تحركت ضمائرهم وأحسوا بالندم على ما فرط منهم .

ويصف أحد المحامين منظر الرؤيا قائلا : « فى فجر الثلاثاء ٣٠ إبريل رأيت منظراً لن أنساه طول عمرى ؛ رأيت العذراء متجلية فى صورة واضحة تحيط بها هالة حول جسمها وفوق رأسها ، وهى بحجمها الطبيعى وقد تلألأت كأنها الشمس الساطعة وسط الظلام ، ولم تلبث أن بسطت ذراعيها نحو الشعب تحييه وتباركه ، وظلت هكذا ما يقرب من ساعة ونصف لا تغيب عن أعين عشرات الألوف من الناس » .

ثم يسجل الأثر الذى أحدثه هذا المنظر فى نفسه : « وقد تولانى كما تولى جميع الناس إنبهار بلغ حد الذهول ، وراح الناس من شدة التأثر يبكون ويهتفون بصوت عال « السلام لك يامريم ، يا أم النور ،

يا أم المخلص ، وكان كثير من الناس يدقون على صدورهم فى طلب المغفرة ، بل لقد رأيت رجلا راح يبكى حتى أغمى عليه » *

ولماذا أذهب بعيداً ولى قريب ضابط بالجيش ، شارك فى حرب اليمن ، وسيناء الأخيرة ، فى بطولة وشجاعة ، وصف مشاعره بعد مشاهدته للعذراء قائلا : « إننى أشعر برعب ورهبة كبيرين » وقد لازمته هذه المشاعر لأكثر من يومين ...

ولى صديق بعيد عن الكنيسة والعبادة يعمل أستاذاً بأحد المعاهد العليا ، وصف مشاعره قائلا : « ذهبت وفى ذهنى شروط معينة بعد أن سمعت عنها من بعض زملائى . وجعلت أتأمل زوايا الانخفاض والارتفاع . ولم يكن لدىّ وقت طويل ، فحددت لنفسى فترة زمنية محددة . وبعد أقل من ربع ساعة من ذهابى ظهرت العذراء فى شكل خارق للعادة . وذهلت إذ شعرت أن كل المواصفات التى اشترطت توفرها قبل مجيء قد تحققت . وذهلت ، وأشعر أنها خبرة روحية أحتفظ بأسرارها لنفسى . نعم دعنى أحتفظ بها لنفسى » ...

ولئن كانت هناك خاتمة لهذا الجزء فلعلها تأتى منى أنا شخصياً حين شاهدت هذه الرؤيا السماوية فى مساء السبت ٤ مايو نحو الساعة

(*) راجع العدد الصادر من وطنى فى ٥ مايو سنة ١٩٦٨

٨،٤٥ وقد تجلت فى حمامتين لامعتين ببياض ناصع إنطلقتا فى سرعة البرق ، وأعقبها ظهور سحابتين متحركتين خرجت منها هالة العذراء فى جمال منقطع النظير أتصوره حتى الآن فأجتر منه خبرة روحية معزية وأذكر أننى ، فى اليوم التالى ، حين ذهبت للصلاة بكنيستها بالزمالك ، وكان هذا المنظر الرؤيوى البديع يجول بخاطرى ، خاصة عند الألحان الخاصة بالعذراء كنت أشعر بعزاء روحى لا يوصف ،وفرح لا ينطق به ومجيد ...

بعض المعجزات التى حدثت نتيجة تجلى العذراء

يقول الرب « الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها » (يو ١٤ : ١٢) فإذا كان الرب قد أبرأ العميان ، وأخرج الشياطين ، وأقام الموتى ، وشفى البرص ، فهو أيضاً قد غفر الخطايا ، وشفى المتسلط عليهم ابليس ، ورد الخروف الضال ، وصنع الصلح والسلام بين السماء والأرض . لذا قال له المجد « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » (مت٥ : ٩) ويقول القديس يعقوب « من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا » (يع ٥ : ٢٠) وهذه هى الأعمال الأعظم : فإن صنع السلام والمصالحة بين الله والناس، وردالخطاة عن طريق ضلالهم ، هو فى نظر المسيح أعظم من مجرد شفاء مريض ، أو إقامة ميت . وحادثة شفاء المفلوج تثبت هـذا . لقد أنزله أصدقاؤه أمام الرب «فلما رأى إيمانهم قال له أيها الانسان مغفورة لك خطاياك » (لو ٥ : ١٩ ، ٢٠) أى أنه بدأ بشفاء النفس ، وتهيئة المريض للملكوت . هذا هو المهم. أما المرض نفسه فشفاؤه لاحق لغفران الخطيئة. وفى حادثة مفلوج بيت حسدا الذى صرعه المرض ٣٨ سنة ، قال له الرب

فى الهيكل : « ها أنت قد برئت فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر » (يو ٥ : ١٤)

ويقيناً إن الشخص الذى تغفر خطيئته ، ويعود إلى حياة المصالحة والسلام مع الله هو شخص قد وجد حياته ، واستنار عقله وفكره ، وتطهرت نفسه وتنق ضميره ... ولعل هذا كان الأثر الأول لتجلى العذراء ... تتويب النفوس ، والعودة بها إلى الله ، وتأكيد كلمة الرب « الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً » (يو ١٢ : ٢٢)

فهذه طبيبة عيون فى نحو الخمسين من عمرها قالت إنها كانت غير متدينة ،لم تدخل كنيسة ولم تصم أو تصلى يوما ، وربت أولادها على نهجها. قالت إنها حينما كانت تضطرها ظروف معينة على الذهاب إلى الكنيسة لم تكن تطيق البقاء فيها أكثر من عشر دقائق ، وحينما دعتها بعض صديقاتها للذهاب إلى كنيسة العذراء بالزيتون تقبلت الدعوة بالاستخفاف. وأنكرت على صديقاتها تصديق هذه الخرافات. لكنها بعد الحاح ذهبت إلى الكنيسة لكنها لم تبق بها طويلا وعادت دون أن ترى شيئا . وفي اليوم التالى اتصلت بها زوجة أخيها وقالت لها إن العذراء ظهرت بعد أن انصرفت . فردت عليها بأنها ستمضى فى اليوم التالى مدة أطول لكى تبطل حجتها . وذهبت إلى الكنيسة فى اليوم التالى فعلا وهى مقتنعة تماما بانها لن ترى العذراء . لكنها شاهدتها واهتز كيانها لمرآها وتغيرت حياتها ، وتجدد فكرها الباطنى ، وأصبحت تأتى إلى الكنيسة مساء كل

يوم تتطلع إلى القبة التى شاهدت فيها العذراء . لقد رأتها — هكذا يتابع الأنبا اغريغوريوس حديثه — حتى الآن خمسين مرة ؛ وهى تقول إنها تحس كأنها خلقت من جديد ، وأن لاعمل لها إلا رؤية العذراء والتحدث عنها ، وعن قدرة الخالق .

ويذكر الأنبا اغريغوريوس أيضا عن محاسب ملحد كان يسخر من المؤمنين ويتهكم عليهم حينما يحدثونه فى الشئون الروحية ... هذا المحاسب ما كاد يذهب إلى الكنيسة ويرى العذراء حتى عاد يقول : « لقد اهتزت عقيدتى فى الالحاد ، وأحس الآن كأننى ولدت من جديد بعد أن تغيرت أفكارى وآرائى ونظرتى للحياة » ...

وزوجة كانت دائمة الخلاف مع زوجها، عادت من زيارتها للكنيسة تعتذر لزوجها عما يبدر منها ، وتقول إنها قطعت عهدا على نفسها أن تبدأ معه حياة جديدة ، وأنها عزمت على وضع حد لخلافاتها معه ...

والذين وجدوا أمام الكنيسة فجر الاثنين ٢٢ إبريل ، شم النسيم ، قد دهشوا حينما رأوا شخصا وقد شاهد تجلى العذراء يصيح باكيا مستغفرا قائلا : « سامحينى ياعذراء ... خلاص يا عذراء عزمت على تغيير حياتى ... »

وقصة واقعية عن عائلة كانت مرتبطة « بجمعية خلاص النفوس » ،

لـكن إحدى فتيات هذه العائلة كانت تتردد على الـكنيسة الأرثوذكسية ، وتقوم ببعض الخدمات التعليمية الروحية بها ؛ وأسرتها تقاومها . وكثيراً ما منعتها عن الذهاب ، وتعرضت ، بسبب رغبتها فى المواظبة على اتمام هذه الخدمة ، إلى الـكثير من أنواع القسوة ... فجأة رؤى أفراد هذه الأسرة يترددون على القداس وينذرون النذور ... فماذا حدث؟ لقد كانت رؤيا العذراء هى السبب ... لقد شعروا بجسيم خطأهم ازاء فتاتهم المتمسكة بارثوذكسيتها ، فعادوا جميعاً إلى أحضان أمهم الأولى ، وكانت بركة العذراء هى السبب المباشر ...

والواقع إن الجو الروحى الذى يسود الحاضرين ، وحالة التجرد عن الذات التى تتملك عليهم ؛ تجعلهم يشعرون بنوع من السمو بإنسانيتهم ، والارتقاء بنوازعهم وميولهم البشرية ، فينسون أحقادهم ومطامعهم ، ويعيشون لحظات حب وطهارة كاملين ... وأنا شخصيا أعرف أسرتين بلغ بهما التخاصم أن كان أفرادها لايطيقون رؤية بعضهم البعض ... وعبثاً ذهبت محاولات الصلح ... إلى أن التقوا فى رحاب العذراء . وكان طبيعياً أن تتجاهل كل أسرة وجود الأسرة الأخرى إلى أن رأوا العذراء ... وإذا بكل أسرة تبحث عن الأخرى ليلتقوا فى شبه صلح معجزى ما كان أحد ينتظر أن يحدث ...

لماذا تكتم الشهادة :

وروى الأستاذ رمسيس جبراوى المحامى أن طالباً جامعياً يمت بصلة قربى إلى موظفة كبيرة كانت أسرته تشكو من انصرافه عن الدرس واغراقه فى الملاهى ، وحارت الأسرة فى تقويمه ، وطلبت إليه قريبته أن يذهب إلى كنيسة الزيتون لمشاهدة العذراء ، لعلها تهديه ، وذهب فعلا لمشاهدة العذراء ولكنه لم يشأ أن يبوحُ بما شاهد ، ولما سئل عن رؤيتها انكر ، ثم آوى إلى فراشه وفى الصباح لاحظت أسرته تغيراً فى مسلكه ، فهو يسرح كأنه فاقد الوعى زائغ البصر ويتمتم بعبارات منتظمة ولكنها بلغة غير مفهومة ، وعرضته الأسرة على أحد الأطباء ، فقال إن تكرار العبارات يدل على أنها بلغة أخرى لايفهمها ، وأشار بعرضه على أحد الكهنة الاقباط ، ودعى الكاهن وأكتشف أن العبارة التى يرددها الشباب باللغة القبطية التى لم يسبق له التحدث بها، وأن معناها « لماذا تنكر أنك رأيتنى ، مع أننى اخترتك لتشهد لى ».

وصلى الكاهن لأجل الشاب ، فعاد إلى حالته الطبيعية ، وبدا عليه الخجل والندم وهو يروى كيف شاهد العذراء بكنيسة الزيتون ثم انكر رؤيتها حينما سئل عنها ، وطلب الصفح والمغفرة عن انكاره .

ومن يومها تغير الشاب وتجدد ، لقد اصبح شخصية أخرى جادة لا تميل إلى اللهو أو العبث ، وكان خلاصه بعد رؤية العذراء رسالة حية لاسرته وعارفيه .

شاهدتها عدة مرات

وبالحقيقة إن الذين يرون هذه المعجزات الحقيقية — معجزات تغيير القلوب والعودة إلى الله — يذكرون قول الوحى الالهى فى سفر الملوك : «ورأى الشعب المعجزة فقالوا الرب هو الله» (١مل ١٨ : ٣٧).

وإذا كانت القلوب تصفو هكذا ، والضمائر تتنقى وتتلامس مع عمل النعمة ، فلم يكن غريباً أن يصبح جو المجتمعين جوا روحيا ، وإن شوهته فى البداية بعض العثرات والأخطاء ، لكنه سرعان ما استعاد نقاوته ، وتحول إلى جو ترتيل وعبادة ، حتى أصبحنا نشتاق إلى الذهاب للمكان فى حد ذاته حتى ولو لم تظهر الرؤيا ... لقد ذهبت مرات عديدة ، فرأيت عجبا ... هذه مجموعة من العائلات تحفظ لحن افرحى يا مريم فتشدو به فى عذوبة ... وتلك مجموعة أخرى ترنم ترنيمة يا مريم البكر فقت ... ولأن أفرادها لا يحفظونها جيداً فقد أمسكوا بشمعة تنير لهم كتاب الترتيل ... وهنا شباب من الصعيد جاءوا من بلدهم النائى البعيد ووقفوا على السور المقابل يرتلون لحن فى جميع قديسيه سبحوا .... حتى إذا ما انتهوا منه رتلوا غيره وهكذا ... أما الآلاف الأخرى فجلوس فى هدوء وسكون ، يستمعون إلى الترتيل ، والعبادة ، يرددون دعاءهم فى خشوع ، حتى إذا ما تجلت العذراء ، وانبهرت القلوب ، ارتفعت الألسنة بالتسبيح والتهليل ، وكل يطلب ما أعده من دعاء ، من أجل نفسه ، والآخرين ...

وصحب هذا كله سهر روحى ، وكأن هذه الجموع وقد امتلأت نفوسها بالعزاء ، قد استجابت لرب المجد «اسهروا وصلوا...» وللقديس بولس حين خاطب المؤمنين بكنيسة تسالونيكى قائلا : «فلا نم إذن كالباقين بل لنسهر ونصح » [١ تس ٥ : ٦] ... ويخيل إلى أنه رغم تعب السهر ، لكن البهجة الروحية التى تشعر بها هذه الجموع المتكاثرة كانت تزيل آثار التعب ، فيحس الجميع كما لو « كانوا فى الروح فى يوم الرب » على حد تعبير صاحب الرؤيا [رؤ ١ : ١] فتحول الجو إلى سماء والوقت خماسين وذكرى القيامة يحقق من خلالها ما قاله القديس بولس إلى كنيسة أفسس : « وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات » (أف ٢ : ٦)

ومن الغريب أن يصحب كثير من العائلات أولادهم وأطفالهم ... ترى هل نستطيع أن نطوب هذا الجيل الذى أتيحت له فرصة هذه الرؤيا العظيمة ؟ إنه جيل عاش هذا التجلى الالهى العجيب ... ولأضرب المثل بأولادى الذين رأوا الحمام ناصع البياض ، والسحب البيضاء التى تخرج منها العذراء فى هالتها المضيئة ... منظر تكرر ... ورأوه أكثر من مرة ... كم سعدت بالاستماع إليهم وهم يقصونه على ... ولا شك أن آلاف العائلات قد سعدت كذلك ... وأصبح الشباب وأمسى فإذا بكنيسة العذراء هى المنتدى والمركز الذى يلتقى عنده ... ويعود كل إلى منزله ، ربما قرب الفجر ، ليحدث كل من قابله بما رأى وشاهد . وكان لقرب الامتحانات أثر ايجابى لا سلبى ، فقد

وجد الكثيرون من الطلاب أن فى ذهابهم بركة مؤكدة ، واستنارة روحية طالما بحثوا عنها. فلم يجدوها إلا فى رحاب العذراء ولعلهم قالوا مع أيوب فى حرارة : « ياليت طلبتى تأتى ويعطينى الله رجائى » (أيوب ٦ : ٨) أو مع نحميا : « بهذا أيضاً أذكرنا يا إلهنا ، وتراءف علينا حسب كثرة رحمتك » (نح ١٣ : ٢٢)

ولا شك أن الرب قد خاطب هذا الشباب باطنيا ، فشعر أنه ليس بالقوة ولا بالقدرة ، لا بالغنى ولا بالسلطة ولا بالصيت ، تكون الحياة الناجحة وإنما بغلبة الخطيئة ، والنصرة على الهوى كقول الحكيم « إن مالك نفسه خير من فاتح مدينة » (ام ١٦ : ٣٢) ، أو كما يقول الوحى على لسان إشعياء : « بالرجوع والسكون تخلصون ... بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم » (إش ٣٠ : ١٥)

واقترن هذا كله بانتشار خبر هذه الرؤيا فى أنحاء العالم كله ، فقد كتب رجال الهيئات الدبلوماسية تقارير إلى دولهم عن أنباء هذا الظهور ، وأرسلت سفارات مصر فى الخارج والمكاتب السياحية تطلب موافاتها بالمزيد من التفاصيل ، كما كان للمؤتمر الصحفى الذى دعا إليه المقر البابوى ، والذى دعى إليه نحو ١٥٠ ممثلا للصحافة والإذاعة والتليفزيون طيروا أخبار هذا التجلى إلى بلادهم ، وأثاروا بعض الأسئلة التى أجاب عنها فى وفاء ممثلو غبطة البابا ؛ فكانت كرازة سخرت لها

وسائل الإعلام كلها ، وكانت شهادة باستعلان الرب وسط شعبه ، وبأن عصر المعجزات لم ينته ، وبأنه مهما سادت الماديات ، أو طغت التكنولوجيا ومظاهر العلم المختلفة ، فإن الروحيات لا تزال مستتبة ثابتة ، تمارس رسالتها الالهية فى عالم أتعبته المادة ، وأشقاه الانقسام ، وتربعت على قلوب قادته المطامع ... إنه تجل واستعلان ، يوقفان العالم أمام ضميره لينبذ الحرب ، ويتجنب العدوان ، ويعود إلى التعايش السلمى والتعاون المشترك ...

وبالإضافة إلى هذه الوسائل الإعلامية ، هناك الأفلام السينمائية التى أخذت كبرى الشركات تلتقطها عن مسيرة العائلة المقدسة فى مصر ، وعن تحقيق آية إشعياء « مبارك شعبى مصر » وطبيعى أن يقترن بمثل هذه الأفلام إبراز جمال الكنيسة المصرية الأرثوذكسية وعبقرية آبائها القديسين ، التى تجلت بأوفى صورة فى تمسكهم بالإيمان المستقيم المسلم من المسيح لقديسيه ... بركات عظيمة ... فاضت من هذه الرؤيا المباركة ، ونعم جزيلة عمت البلاد كلها من أقصاها إلى أقصاها ، كلها ثمار عمل النعمة الالهية ، وفعل صلوات آباء البرية القديسين فتحقق بذلك قول رب المجد : « بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى » [يو ١٥ : ٨]

أما معجزات الشفاء والإبراء فما أكثرها وإن كلمة لوقا الانجيلى لاتزال لها فاعليتها وسرها حين تكلم عن معجزات الرب للذين أتوا إليه من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم وشهد عن أثرها قائلا : « وكانت قوة الرب لشفائهم » [لو ٥ : ١٧] ... وفى الأصحاح السادس يسجل القديس لوقا أيضا أن الرب نزل مع الجموع ووقف فى موضع سهل هو وجمع من تلاميذه ، وجمهور كثير من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيدا الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم والمعذبون من أرواح نجسة ، وكانوا يبرأون . وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفى الجميع [لو ٦ : ١٧ — ١٩] .

ولما جاء تلميذا يوحنا إليه يسألانه على لسان معلمهما « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟؟ » .. بماذا أجاب يسوع ؟أجاب قائلا اذهبا واخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما . إن العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » [لو ٧ : ١٩ — ٢٢] .

إن شيئاً من هذا ، بل كثيراً منه ، قد حدث ببركة ظهور السيدة العذراء أم النور . ولا عجب أن تتحقق معجزات شفاء كثيرة فإن قوة الرب للشفاء هى أمساً واليوم وإلى الأبد ، والكثيرون إذ برئوا من أمراضهم طفقوا يسبحون الله ، ويخبرون عن عمل قوته فيهم وكأنهم

يسمعون لصوت الرب إذ يقول : ارجع إلى بيتك وحدث بكم صنع الله بك » [لو ٨ : ٣٩]

وأول معجزة نلتقى بها هى معجزة شفاء ورم سرطانى خبيث ، ونحن نوردها كما ذكرت بنصها فى جريدة وطنى توخياً للدقة

المريض اسمه سامى عبد الملك — ٤٠ سنة — موظف بشركة طه مخلوف بالفيوم .

والطبيب هو الدكتور عزيز فام الأستاذ المساعد لجراحة المسالك البولية بالقصر العينى .

كان سامى عبد الملك قد أصيب بسرطان فى المثانة ، ولم يكتشف حقيقة المرض إلا بعد أن تمكن منه ، فقد كان يشكو من ألم شديد بالمثانة لم يخفف منه تناول العقاقير والادوية إلى أن تم فى فبراير من العام الماضى الكشف عليه بالاشعة ، واجرى تحليل لنوع الورم فتبين أنه ورم سرطانى ، وبادر الدكتور عزيز فام باستئصاله فى المستشفى ، ولكنه عاوده مرة أخرى .

واتصلت « وطنى » بالدكتور عزيز فام فأكد الواقعة وقال إنه كان مقررا أن يجرى جراحة أخرى للمريض لاستئصال الورم السرطانى إلى أن جاءه قبيل الموعد المعين للجراحة يطلب الكشف عليه من جديد قائلا إنه

أحس بزوال الالم بعد زيارة كنيسة العذراء بالزيتون ، وبعد الكشف عليه واجراء التحاليل اللازمة تبين زوال الورم السرطانى وشفاؤه شفاء تاما .

التقرير الطبى

ونحن ندع الكلام هنا للتقرير الطبي الذى أعده الأستاذ الدكتور شفيق عبدالملك الأستاذ السابق بكلية طب عين شمس ورئيس القسم الطبي بلجنة تقصى الحقائق بكنيسة العذراء بالزيتون ، وقد أعد هذا التقرير بعد الاطلاع على تقرير الاستاذ الدكتور عزيز فام .

«السيد سامى عبد الملك ٤٠ سنة الموظف بشركة طه مخلوف بالفيوم حضر بعيادة الدكتور عزيز فام فى فبراير سنة ١٩٦٧ يشكو من ألم شديد بالمثانه وبول دموى زاده العلاج العادى شدة ، وبفحصه دقيقا واجراء التحليلات اللازمة والاشعة وفحص المثانه بالمنظار الثانى ، ثبت وجود ورم سرطانى ، وعملت له العملية بواسطة الدكتور فام فى المستشفى القبطى ، وبعد تحليل الورم المستأصل تحليلا ميكروسكوبيا ثبت أن خلاياه خلايا سرطانية فى الدور الثانى ، وقد تحسنت حالة المريض نوعا وخفت وطأة الاعراض كثيرا .

وفى يوم ٢ يونيو الماضى حضر إلى الدكتور عزيز فام المريض نفسه

يشكو نفس الأعراض الأولى التى عاودته من شهرين « ألم شديد فى التبول مع البول الدموى ، فاجريت له التحاليل الطبية والأشعة العادية والخاصة وفحص بالمنظار الثانى ووجد ورما سرطانيا راجعاً مميزاً واضحاً فى حجم الليمونة وحدد لسيادته يوما للعملية .

وقرر المريض أنه لما كانت حالته الصحية والمالية والنفسية سيئة ذهب إلى كنيسة العذراء بالزيتون باكياً متضرعا ، ورأى « العذراء أم النور » فى أول زيارة له وللتو زالت الأعراض المرضية وأحس براحة وكان على موعد مع الدكتور عزيز فام فذهب إليـــه مستبشراً وقص حكايته .

وفحصه الدكتور عزيز فام فحصاً دقيقاً وأجرى له التحليلات اللازمة والأشعة الضرورية ، وفحصه بالمنظار الثانى فلم يجد أثرا للورم السرطانى الذى كان قد شاهده من ثلاثة أيام وقرر أن المثانة خالية من الورم تماماً وحالة جزء المثانة طبيعية .

وهو للآن يتمتع بصحة جيدة وقد زالت عنه كل الأعراض التى كان يشكو منها فى الجهاز البولى .

المعجزة الثانية :

وروى الأستاذ حمدى حراز عضو مجلس الأمة وأمين الاتحاد الاشتراكى بالزيتون كيف شاهد العذراء وكيف شفت ابنته فقال :

إنه كان فى طريق عودته الى مسكنه بعمارة إيمو بيليا بالزيتون حين التقى بسائق تاكسى ينبئه بظهور العذراء فى قبة الكنيسة ، وحمله السائق فى عربته الى الكنيسة حيث شاهد العذراء فى فجوة القبة جسما من النور .

وأضاف عضو مجلس الأمة قائلا : « إننى كدت لا اصدق بصرى ، رأيت بين الواقفين شخصا يتكىء على دراجة بخارية « موتوسيكل » فطلبت اليه أن يدير مصباح الدراجة لينطلق ضوء المصباح قويا ، وفعل ، وأبصرت بعدها العذراء بجسمها النورانى فى مكانه ، فآمنت بما أرى ، واخذت أتلو الآيات التى تكرم العذراء وتفضلها على نساء العالمين ، إننى أؤمن بان ظهور النور ظاهرة روحانية ، هى بشير خير »

العذراء شفت أبنتى :

وأضاف الأستاذ حمدى حراز بان ابنته نادية الطالبة شفيت من مرضها بعد أن رأت العذراء ، وقال انها تراها فى نومها ، كما تراها فى يقظتها ، وفى فجر الثلاثاء الماضى رأتها قبل أن تستيقظ من نومها ، وشاهدت كلمة « سلام » مكتوبة بالنور فاستبشرت خيرا .

وروت نادية حمدى حراز لوطنى كيف تمت معجزة شفائها بعد أن رأت العذراء ، فقالت إنها كانت قد أمضت خمسة أيام وهى طريحة الفراش « وتصادف أن أقبل امتحان النقل من السنة الاولى الثانوية فأيقنت أننى راسبة لا محالة ، وشاهدت العذراء ، ثم تراءت لى وهى تطمئننى اننى سأشفى وانجح وفعلا شفيت ونجحت »

تكلمت بعد أن فقدت النطق .

وفى مساء الخميس ١٦مايو جرى العديد من معجزات الشفاء بين الزوار حول كنيسة الزيتون فى أثناء التراتيل والصلوات التى يتلوها الزوار ، وبين من شفوا السيدة سعاد محمد عرب التى جاءت من قريتها «نوى» بمركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية بعد أن أصيبت بمرض مستعص من عشرين يوماً واشتد عليها المرض حتى فقدت النطق من عشرة أيام ، وما كادت تحضر إلى الكنيسة حتى شفيت وتكلمت وسط دهشة أقاربها وعادت إلى بلدتها كاملة الصحة .

ومعجزة شفاء القاضى قدرى يوسف ... لقد قال الأستاذ الدكتور شفيق عبدالملك فى تقريره يصف حالة مرضه :

التقرير الطبى

« كان يشكو آلاما تقلصية بالأمعاء تعاوده من وقت إلى آخر مع سوء هضم ، يستمر أحياناً طول النهار وإلى ساعات متأخرة من الليل ، وبالرغم من الأدوية كانت الآلام لا تهدأ والانتفاخ في الأمعاء مستمراً، فقد شهيته للأكل وانخفض ضغط الدم إلى ١١٠/٨٥ وأسرع نبضه أكثر من ٩٠ فى المتوسط ونقص وزنه خمسة كيلوجرامات .

« وبعد يوم ٢٠ مايو الماضى عقب عـــودته من كنيسة العذراء

بالزيتون نام نوماً هادئاً وأحس بزوال كل أثر للمرض ولم يعد يتناول أية عقاقير ، وبفحص الجهاز الهضمى وجد منظر اللسان ولونه طبيعيين ، ووجدت حدقتا العينين رائقتين وبراقتين ، والكبد بحالة عادية ، ولا شعور غير عادى بمنطقة كيس الصفراء ، وفى حالة الأمعاء الدقيقة والغليظة طبيعيتين ولا انتفاخ بهما و « تطبيل » ولا نقص بعضلات البطن ، والأفعال المنعكسة الجلدية طبيعية ، وكذا الأفعال المنعكسة الوترية ، وكان الضغط ١٢٥/١٨٠ والنبض ٧٦ ولم يلاحظ أى احتقان فى الوجه أو الحلق أو الحنجرة ، ولا أوردة ظاهرة بالساقين ، وتحليل البول خال من العناصر غير الطبيعية خصوصاً أملاح كيس الصفراء ، وقرر أن شهيته للأكل طبيعية ، وتبين أن حالة الأمعاء جيدة وعاد نشاطه العادى وكأنه ولد ولادة جديدة صحياً ونفسياً »

والطبيب يشهد « التئام الفتق بمعجزة »

والدكتور وليم ناشد زكى مدير مجموعة مسرة العلاجية سابقاً — ٤١ شارع شبرا — أبى إلا أن يكتب شهادته بنفسه ، قال : « أصبت بفتق كبير بالكيس من ١٢ عاماً ، ولبست حزاماً طبياً ، ولكنه لم يؤد إلى النتيجة المرغوبة ، إذ كنت أشعر بضيق وألم يكاد يسحبنى إلى أسفل ، وكنت أرقب الدقائق التى استريح فيها رافعا مستوى الحوض إلى أعلى من مستوى رأسى ، لكننى لم ألجأ إلى العملية لأن جدار البطن

من الجهة اليسرى كان ضعيفاً لدرجة أننى أحس أن المصران الغليظ يندفق من الفتحة بالفخد إلى الـكيس ، وحينما شاهدت العذراء بكنيسة الزيتون بعد منتصف ليلة السبت وفجر الأحد ١٩ مايو كنت آمل أن أكون مستحقاً لشفاعتها ، وكان ابتهالى وأنا أراها تتحرك فى اتجاه دورة الصليب وتحرك يدها اليمنى كأنها تبارك الجموع ... أن أشفى من مرضى ، لقد امضيت ساعات وأنا أرى العذراء بين لحظةوأخرى وأبصر ما يشبه الحمام الأبيض ينطلق فى الفضاء ، وكانت أسعد أوقات العمر فى رحلتنا التى نجتاز فيها هذه الحياة ، وكان الناس يرفعون أياديهم اليمنى نحو العذراء كأنهم يتلمسون الهواء الطاهر الذى يلامس يديها وهى تبارك الجموع ، وأحسست بقلوب الشعب وقد تصافت وتعانقت بعد أن شحنت بشحنات قوية من العواطف المقدسةوالمباركة ، فتألقت وجوههم واستضاءت بنور ربانى ، وما عدت إلى البيت وتحسست أثر الفتق حتى أدركت أن معجزة تمت بعد رؤية العذراء ، إننى لم أجد أى أثر للفتق بتاتاً ، ولاشك فى أن هذا رضاء من السماء أحمد الله عليه إذ تقبل شفاعة العذراء أم النور »

وبتاريخ ٨ مايو سنة ١٩٦٨ نشرت جريدة الأخبار تحقيقاً عن معجزة شفاء الطالب رياض نجيب عازر بكلية تجارة جامعة الاسكندرية.

مع طالب التجارة

وحققت «الأخبار» الواقعة التى ذكرها رياض نجيب عازر الطالب بكلية التجارة بالأسكندرية . كان الطالب قد ذكر أنه أصيب بانفصال شبكى فى عينه اليمنى وفقد الرؤية بها . ولما شاهد العذراء عاد إليه بصره .

إلتقت به الأخبار فى الاسكندرية . قال : « كنت فى منزلى بدمنهور يوم ١٣ فبراير الماضى وفوجئت وأنا أغسل وجهى فى الحادية عشرة صباحاً بالدنيا كلها تتحول أمامى إلى ظلام واكتشفت اننى فقدت الرؤيا بعينى اليمنى . نقلنى اشقائى إلى المستشفى الجامعى بالاسكندرية وشخص الأطباء المرض بأنه انفجار فى الوريد الشبكى العلوى للعين اليمنى ونتج عن ذلك نزيف استمر ٢١ يوماً وأمضيت فى المستشفى ٣٦ يوماً والأربطة حول عينى ولا أرى النور ومنعت من الحركة تماماً .

وكان آخر كشف نظر قمت به قبل الاصابة يؤكد أن عينى ٦/٦ ولكن أصبحت ٣/٦٠ ... أجريت كشفاً آخر بعد ٤٠ يوماً وكانت النتيجة ٢/٦٠ . نقلت إلى مستشفى الطلبة الجامعى وكان تشخيص أطبائه هو نفس التشخيص السابق ...

حالة نادرة

حار الأطباء فى سبب انفجار وريد عينى .. وأكد جميع الأطباء الذين

فحصوا حالتى أنها حالة نادرة ولا تأتى فى مثل هذا العمر « ٢٤ سنة » ولا أمل فى شفائها ...

قدمت شكوى لرئاسة الجمهورية اهتم بها السيد الرئيس وتم تشكيل قومسيون خاص من أساتذة الرمد بكلية الاسكندرية يوم ٨ إبريل الماضى. قرر الأطباء أن الحالة لا علاج لها لأنها كالشلل تماماً ... سافرت إلى بلدتى دمنهور وهناك سمعت عن ظهور العذراء فسافرت إلى القاهرة صباح الاثنين ٢٢ إبريل يوم شم النسيم مع صديق فكرى الشهاوى . وصلت إلى كنيسة الزيتون وفى الصباح ركعت أمام المذبح وصليت وطلبت من العذراء الشفاء وانتابتنى حالة بكاء . وفى حوالى الساعة السابعة مساء كنت أقف مع آلاف المزدحمين أمام الكنيسة . طلبت من الواقفين بجوارى الصلاة معى بدلاً من التحدث عن ظهور العذراء ثم صليت السلام لك يا مريم وإذا بأم النور تظهر بكامل صورتها أمامى . رأيتها كتمثال من النور لراهبة ترتدى الملابس البيضاء فصرخت بأعلى صوتى « يا أم النور ... نورى عينى إذا كان قد عجز الطب فلن يعجز الرب» وتحقق أملى وأحسست بأنى أبصر بعينى اليمنى .

زميلى لم يصدق

قلت لزميلى فلم يصدق وعدت إلى المستشفى بالاسكندرية والتقيت بالحكيمتين سنية محمود وفادية عبد الهادى وتمكنت من رؤية حركة

ايديها بعيني اليمنى المصابة ونقلت واحدة منهما الخبر إلى الدكتور عدلى عبد العزيز النائب المقيم بالمستشفى فلم يصدق إلا بعد أن وقف على بعد سبع خطوات مني ورفع يده فأكدت له أنني أشاهدها فقال لى ألف مبروك لقد شفيت ، وقام الدكتور بهجت بدوى طبيب الرمد بالمستشفى بالكشف على نظرى بالعلامات فكانت النتيجة ٢٤/٦ ولدهشته قام بالكشف على قاع العين فاكتشف أن الحلطة قد أصبحت غشاء رقيقاً جداً ...

دهشة فى القومسيون

وكان وزير الصحة قد اهتم بحالتى وتصادف أن القومسيون الطبى وصل بعد مشاهدتى للعذراء فكتب فى التقرير أن الحالة ليست فى حاجة للعلاج بالخارج وأنهم يدهشون لظهور شعيرات دموية جديدة فى العين .

وقال رياض نجيب إنى قررت السفر مرة أخرى إلى القاهرة مع والدتى لنقدم الشكر للعذراء ووقفت مع الناس يوم الاثنين ٢٩ أبريل وشاهدتها فجر الثلاثاء فى تمام الساعة الخامسة صباحاً ... كانت جسماً مضيئاً لراهبة ترتدى ثياباً بيضاء وتهز رأسها وتحرك يديها تحية للجماهير وتطير فوق رأسها ٣ حمامات بيضاء .

وأكدت والدة الطالب أنها شاهدت معه العذراء .

حالة شفاء شلل*

وروت السيدة إنشراح أمين النيال كيف تم شفاؤها من الشلل بهذه الطريقة الإعجازية ، فقالت :

« منذ مرضت بالشلل قطع الأطباء كل أمل فى شفائى ، ولكننى كنت قوية الإيمان بقدرة الله ، أحتمل الألم فى صبر ، وأردد دائماً « الحمد لله ، أشكرك يارب» ، وما تبرمت يوماً أو ضقت بما حل بى ، ويكفى لكى تعرف الحالة التى كنت عليها أننى لم أكن أستطيع أن أحرك أصابع يدى أو رجلى ، بل فقدت الاحساس بهما تماماً ، وبين حين وآخر أفقد وعيى وأذهب فى غيبوبة أفيق منها لأردد « الحمد لله » وكانت نتائج التحاليل الطبية ، وآخر تقارير الأطباء تقول بانه لا أمل فى الشفاء .

وحينما علمت بنبأ ظهور السيدة العذراء قصدت على الفور إلى كنيستها بالزيتون ، ولكننى لم أرها ، ولم أفقد الأمل فى مشاهدتها ، فقد كان يخامرنى شعور غامر بالاطمئنان إلى زيارتها ، فعدت إليها فى حوالى الساعة الخامسة مساء عيدها ، وكان يوم أربعاء ، وصحبنى إبنى الصغير شريف ، وحمل سائق سيارتى مقعداً لأجلس عليه ، فقد كنت لا أقوى على الوقوف ، وظللت جالسة هناك إلى الساعة الرابعة صباحاً ، وفى هذه اللحظة شاهدت ما يشبه حمامتين تنطلقان فى الفضاء فوق الكنيسة ، ولا أعرف من أين أتيا ، وكان جسماهما مشعاً بالضوء ،

* نشرتها جريدة وطنى بعددها الصادر فى ١٩ مايو سنة ١٩٦٨ .

فأحسست بقشعريره تسرى فى جسمي ، وكان ابنى شريف يجلس على كرسى إلى جوارى فاهتز وسقط على الأرض . وفى الساعة الرابعة والنصف بدا فى سماء الكنيسة فوق القبة الكبيرة ما يشبه سحابة بيضاء مضيئة وفى هذه اللحظة إنطفأ نور الجراج ، وتشكلت السحابة وظهرت العذراء ، وكان جسمها نورانياً واضح المعالم ، وهنا لم أتمالك نفسى أن هتفت « الله أكبر » وأخذت أرفع يدى إلى ناحية العذراء ثم أعيدها إلى رجلى المشلولة وأنا أردد « أنا جاية يا أم النور علشان تشفى لى رجلى » وكانت العذراء فى هذه اللحظة تتحرك وتسير فى هدوء فوق القبة ، وظلت هكذا حوالى ساعة ، وقلت فى نفسى وأنا أهم بالعودة إلى سيارتى « يكفى اننى رأيتها » ولا أدرى كيف نسيت وقتها مرضى ، فقد نهضت من مقعدى دون أن أتحامل على عصاى أو أستند إلى ذراع إبنى ، وتخطيت سور الحديقة التى كنت أجلس فيها قفزاً ، وأمسكت إبنى شريف بيد ، والمقعد الذى كنت أجلس عليه باليد الأخرى ، وشققت طريقى وسط الجموع الزاخرة وأنا أحس كأننى أطير كالحمامة ، وكانت الأرض موحلة ، ولكن قدمى لم تنزلق ، وحينما وصلت إلى سيارتى حاول السائق أن يدير محرك السيارة فلم يدر ، وكان لا بد من دفعها إلى الأمام لإدارة المحرك ، فوجدت نفسى أدفعها بيدى مسافة طويلة ، وإبنى والسائق ينظران إلىّ فى دهشة وهما لا يصدقان أبصارهما . كنت كأننى فى حلم ، ولم أشعر بالمعجزة التى جرت لى إلا بعد أن دار

محرك السيارة وجلست فيها وسرحت بخاطرى إلى المرض الذى كان يلازمنى من سنوات ولم يفارقنى إلا من لحظات ، فأخـــذت أمجد وأشكر العذراء » .

واطلع الدكتور شفيق عبدالملك على « الروشتات » وكتب تقريراً طبياً عن حالة السيدة إنشراح بعد الكشف عليها بعد ظهر يوم الثلاثاء الماضى ، وقال تقريره :

« وبالكشف وجد أن ضغطها يوم الكشف ١٤٥/٧٩ ونبضها ٨٢ وحرارتها عادية وقلبها وصماماته الأربعة فى حالة جيدة ، وحجم القلب طبيعى ، والرئتان عاديتان ، وأصوات التنفس وعدده عادى ، الكبد فى حدوده الطبيعية ، الطحال أيضاً لم يجس ، وليس فى الوجه ولا فى الأطراف أى إحتقان أو تورم .

وبفحص الأعصاب والعضلات للاطراف : الطرفين العلويين والطرفين السفليين ، ومقارنة كل طرف يمين مع اليسار فى الطرفين العلويين والسفليين وجد أن لا فرق غير عادى بالمرة بين الجهة اليمنى واليسرى من حيث التجاوب العصبى سواء كانت سطحية أو غائرة وكذا قوة العضلات فمقاومتها فى القبض والبسط عادية ، وحالة العضلات وحركات المفاصل فى كل من الجهة اليمنى واليسار واحدة فى الطرفين العلويين والسفليين ، كذلك عضلات الوجه وفتحة العينين وزاويتى الفم ونفخ الوجنتين

كانت متماثلة تماماً فى الجهة اليمنى واليسرى ، وإخراج اللسان كان فى الوسط تماماً وكل ذلك يقطع بشفاء الشلل النصفى الأيمن المتقدم الذى كانت مصابة به السيدة المذكورة .

حالتها قبل المعجزات

واستطرد الدكتور شفيق عبدالملك فى تقريره قائلا :

أما حالة السيدة من واقع الروشتات التى تحتفظ بها وأولها فى ١٩٦٣/١١/٢ من الدكتور صلاح الدين فهمى وبها أدوية تدل على ارتفاع ضغط الدم واضطراب فى الدورة الدموية وكذا أثبتت التحليلات الأولى .

ثم روشتات من السيد الدكتور على لبيب وبها أن الضغط ١٦٠/٢٠٠ والحالة غير مرضية وبها شلل نصفى أيمن أثر جلطة دموية . وقدمت ٦ روشتات للسيد الدكتور المذكور وكلها أدوية مسكنة ومهدئة وخافضة للضغط ومنبهة للدورة الدموية وبعض الروشتات فيها نحو ثمانية أدوية بينها حقن مختلفة وحبوب وأقراص كلها لتنشيط الدورة الدموية وتهدئة الأعصاب وتسكين الآلام وخفض ضغط الدم وذلك بعد تحليلات أثبتت قصور فى الكليتين (الكثافة فى البول ١٠١٠) وزيادة فى عدد الكرات البيضاء فى الدم (١٣٫٢٠٠ — تحليل الاستاذ الدكتور على المسلمانى) كما أن درجة الترسيب عالية (٣٠ فى أول ساعة ، ٥٨ فى ثانى ساعة) وهكذا إلى ٦٧/١/٢٣ وبعدها روشتتان من السيد الدكتور

الحديدى بتاريخ ٤/٦/٦٧ ، ٧/٥/٦٧ بها أدوية للغرض نفسه ومشابهة للسابق . بها جملة عقاقير لخفض الدم كأساس وموسع الشرايين ومهدىء ومسكن ومشجع لعمل الكلية والكبد ومنشط للدورة الدموية كما اشترك فى العلاج السيد الدكتور محمد محمود سليمان والدكتورة نوال عفيفى .

* * *

حالة شفاء مرض خطير فى العين

ونشرت جريدة وطنى فى عددها الصادر فى ٧ يولية ١٩٦٨ عن حالة مرض خطير أصاب عين السيدة زيزف شفيق بعد أن عجز الطب فى الخارج عن ابرائها .

تقول السيدة زيزف : « لم أكن أتصور حينما ركبت الطائرة من مطار الخرطوم فى طريقى إلى القاهرة أن معجزة ستتم لى بهذه السرعة وتُفتح عينى اليسرى التى ظلت مغلقة لا أستطيع فتحها ولا أرى بها شيئا مدة ثمانية أشهر. وذهبت إلى لندن حيث فحصنى دكتور جون بلمان جراح العيون فقرر أنه لا جدوى من إجراء عملية لرفع الجفن المطبق عليها لأن العصب أصيب بالضعف . وقال إن العين ستظل مغلقة سنتين أو أكثر ، وبعد ذلك يتبين مدى تطور الحالة .

وبمرور الوقت لاحظت أن رموش عينى اليسرى تتساقط فقصدت إلى الدكتور مأمون حسين طبيب العيون بالخرطوم فقرر أن حالة العين تزداد سوءا وأشار على بالسفر إلى القاهرة وأعطانى خطاب توصية للدكتور حسنى ابراهيم أستاذ طب العيون وطلب إليه فى هذا الخطاب أن يتصل بالدكتور البنهاوى الطبيب بمستشفى القوات المسلحة لعقد « كونسلتو » . وقلت للدكتور مأمون إننى سأقصد كنيسة العذراء بالزيتون لأتشفع بها فى شفائى بعد أن قرأت عن

المعجزات التى تتم للمرضى هناك فقال لى إنه قرأ فعلا عن هذه المعجزات ثم ناولنى خطاب التوصية وهو يقول « إذا لم ينفع الخطاب فلن يضر ، وإذا تمت المعجزة وشفيت العين فلا داعى لتقديمه للطبيب... وجئت إلى القاهرة ... وتمت المعجزة... لقد توجهت إلى رحاب العذراء فى كنيستها بالزيتون يوم الأربعاء ٢٦ يونية ، ثم يوم السبت ٣٠ يونية وبقيت إلى فجر الأحد ، وفى الساعة الثالثة صباحا شاهدت ضوءا ينبعث من نافذة القبة الشرقية القبلية ، ولم أتبين معالم الضوء بدقة لأن عينى اليسرى كانت مغلقة تماما واليمنى ضعيفة الإبصار ، وكنت قبلها قد شاهدت مايشبه حمامة مضيئة تنطلق فى الفضاء وتختفى .

وفى صباح الثلاثاء ٢ يوليو اتصل بى خالى السيد سعد حنا التاجر بالخرطوم ، وكان قدحضر أيضاً التماساً لشفاء زوجته المريضة وصحبنى إلى إلى بيت الدكتور مرقس إبراهيم غطاس بشارع رمسيس رقم ٢٠٢ بجوار الكاتدرائية الجديدة ، وكان القمص حنا بولس كاهن كنيسة مار جرجس بسيدى سالم بكفر الشيخ يؤدى صلاة القنديل وبعد الصلاة طلبت إليه أن يصلى لى وقلت إننى مؤمنة بأن العذراء ستشفع لى وأن الله سيشفينى ، فقال لى « حسب إيمانك يكون لك » .

وتكمل السيدة زيزف حديثها وقد ارتسمت الفرحة على أسارير وجهها وتقول : « لقد تمت المعجزة فما لبث جفنى أن فتح بعد أن مر

عليه الكاهن بالصليب وهو يصلى... لقد كنت قبلا أرفع بيدى جفن عينى ولا يلبث أن يطبق عليها فلا أرى شيئاً ، لكنه فى هذه المرة أصبح يتحرك طبيعيا فأبصرت طبيعيا وكانت صورة العذراء هى أول ما وقعت عليه عيناى ... وكم يتعاظم شكرى لله فها أنذا منذ نحو أسبوع لم أتناول أى عقار من العقاقير التى أحضرتها معى من لندن فعدت إلى كنيسة العذراء بالزيتون ، وقد عزمت بمشيئه الله أن أواصل زيارتها يوميا إلى إلى أن يحين موعد عودتى إلى السودان » ...

* * *

هذه لمحة عن بعض المعجزات الخارقة التى تمت فى رحاب أم النور ، نتيجة تجليها لنا فى أرضنا الطيبة ، وفوق قباب كنيستنا المقدسة ، فلنمجد إلهنا فى شفيعتنا العظيمة ، ولنسبحه دوما على عنايته الفائقة بنا فهو الأب المحب الذى يهبنا شفاء الروح والجسد ، والذى يظهر لنا قوته فى قديسيه وعلى رأسهم أم النور ، الممتلئة مجداً ، فلتمتلىء قلوبنا فرحاً واطمئناناً ، ولنعد إليه شاكرين حبه ولطفه لأنه بالحقيقة كثير الرحمة ورؤوف .

الخَاتِمَة

خاتمـة

أما بعد فهذه هي العذراء ، أم النور ، الحقل الطاهر الذي قامت في وسطه شجرة الحياة المختارة أفضل من القوات المقدسة ومن الملائكة ، والتي جاءتنا في أيامنا الأخيرة سفيرة فوق العادة لتقوم بهذا العمل الايماني الرائع ، وسط جموعنا ، وفي ضاحية من ضواحي عاصمتنا ، باركتها من قبل بالزيارة ، وتباركها اليوم بالتجلي القدسي ، وبمعجزات الشفاء التي إن دلت فعلى حبها العظيم لوطننا وشعبنا المبارك .

ولئن كنا نقف حيارى أحياناً أمام الرؤى والمعجزات ، فهذا أولا ، وفي أغلب الظن وأكبره ، راجع إلى ضعف إيماننا ، وفتور تلامسنا مع عمل النعمة ، أما ثانيا فربما لأن الرؤية والمعجزة أمر غير طبيعي ، بل هو خارق للطبيعة ، ونادراً مايحدث ، مما يحتاج منا إلى فترة إستعداد وتهيؤ لقبوله .

لكن المؤمن الذي عاش تجربة الإيمان وخبرة الحب والصلة بالله ، لا يجد صعوبة في تصديق المعجزة أو الإيمان بحدوث الرؤية ، ذلك أنه يعيش في المسيح رؤيا دائمة ، كما أنه يعتقد تماما أن زمن المعجزات لا ينقضي ، وأن الله قد يسمح بها ، رغم أنه يسوس العالم بقوانينه الطبيعية المعروفة ، والتي يكشف عنها العلم يوماً بعد آخر .

وبينما تؤمن المسيحية بإمكانية ظهور الرؤى وتجلي القديسين ، كما

تؤمن بعمل المعجزة وإمكانّ حدوثها ، فهى فى الوقت ذاته تبارك عمل العلم والعقل ولا تقف دونها .

وفى الوقت الذى ينـــادى المؤمنون فيه قائلين للرب مع الرسل « زد ايماننا » [لو ١٧ : ٥] ، نجدهم يستمعون إلى توجيه الروح القدس بضرورة تمحيص الأمور وفحصها وتقييمها على لسان القديس بولس « امتحنوا كل شىء وتمسكوا بالحسن » [١ تس ٥ : ٢١] .

والـكمال المسيحى لا يمكن أن يتحقق إلا بمحصلة الجمع بين الإيمان والعقل .

ويؤكد ذلك القديس بولس : « معلمين كل إنسان بكل حكمة لـكى نحضره كاملا فى المسيح يسوع [كولوسى ١ : ٢٨] . وتتضح هذه الحقيقة وضوحا كاملا فى مثل البيت ، ثم فى مثل الزارع اللذين قدمهما رب المجد للانسانية ليحول قلبها إلى أرض جيدة تنمو فيها كلمة الخلاص والحياة ، وليدعم من بنائها لتصمد أمام المحن والآلام . ففى مثل البيت قال عن الذى يسمع أقواله ويعمل بها أنه يشّبه « برجل عاقل بنى بيته على الصخر » [متى ٧ : ٢٤] . وفى مثل الزارع قال عن المزروع على الأرض الجيدة أنه يشْبه الانسان الذى « يسمع الـكلمة ويفهم » [متى ١٣ : ٢٣]

وكان له المجد حين يعلم الجموع يلفت نظرهم وانتباههم إلى السمع الواعى لكلامه ووصاياه وذلك بقوله « اسمعوا وافهموا » [متى١٥:١٠]

وكثيرا ما دعا قادة الشعب إلى التخلص من قيود التقليد الأعمى ، ومن التمسك غير البصير بطقوس وعادات مظهرية لا أهمية لها بقوله : « لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم » ؟ [متى ١٥ : ٢] ؛ إن هذا التقليد يجعل منكم « مبصرين لاتبصرون ، وسامعين لا تسمعون ولا تفهمون » [متى ١٣ : ١٣]

بل كثيرا ما أخذ على تلاميذه عدم تلامسهم عقليا مع تعاليمه الروحية فكان يعتب عليهم قائلا : « كيف لا تفهمون » ؟ [مر ٨ : ٢١]

ولذلك يسجل القديس لوقا عن أن تفهمهم للحقائق التى أعلنها الرب جاء متأخرا بعد قيامة الرب «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» [لو ٢٤ : ٤٥]

وأصبح هذا تقليدا فى الكنيسة حتى فى الممارسات الروحية الدقيقة. عن الصلاة يشترط القديس بولس أن تتم فى اطار الفهم والعقل إلى جانب الروح والوجدان بقوله « أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضا . أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً » [١ كو ١٤ : ١٥]

إن الكرازة بالمسيح لا تقوم على مجـرد « كلام الحكمة الانسانية المقنع » لأن برهانها الأساسى « هو برهان الروح والقوة » حتى لا يكون ايماننا « بحكمة الناس بل بقوة الله» [١ كو ٢ : ٤ ، ٥] وحقيقة إن الكارز يتكلم بحكمة الله فى سر ، هو سر الفداء « الذى أعلنه الله لنا نحن بروحه » [١ كو ٢ : ١٠] والذى يستحيل استعلانه بدون إرشاد الروح القدس كقول القديس بولس« فإذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة » [١ كو ١ : ٢١] وذلك حتى تبطل كل حكمة انسانية فى عمل الخلاص ، فعمل الخلاص سر الهى لا يمكن للانسان أن يدركه بعقله البشرى المحدود . فالعقل يعمل فى مجال الملاحظة والمشاهدة والتجربة وكلها تتميز بالتغير والتطور ، أما مجال العمل الالهى فهو ثابت غير متغير أو قابل للتطور . العقل فى محدوديته يتأمل ويثبت ويبرهن وينقد ويفحص ويميز وينتقى ، أما الروح فله عمل آخر مختلف فى طبيعته وشكله عن عمل العقل. إن عمل الروح هو الكشف عن أعماق الله وإرشاد المؤمنين إلى الطريق المؤدى إلى الباب الضيق ثم إلى تقويتهم على اجتيازه وتفضيله ، والدخول منه عن اقتناع وفرح إلى متابعة الجهاد القانونى المتصل برجاء الملكوت . إن الروح القدس فينا يفحص كل شىء .. وثماره في حياتنا عديدة . فهو يبكتنا ، ويجعلنا نكره الخطيئة لننتصر عليها ، كما يقوينا لنحيا حياة الغلبة، ويضيء بالوصية لنا لنستنير ، كما يعزينا فى تحملنا للصليب المقترن بها :

ويزيد على ذلك بأن يهبنا حكمة وفرحا وسلاما وطهارة وطول أناة وصبرا وهى الفضائل التى تصل بنا إلى الملكوت.[راجع غلاطية ٥ :١٦—٢٦]

ومن هنا كان لابد أن نعطى « ما لقيصر لقيصر وما لله لله » [متى ٢٢ : ٢١] نعطى للعقل والفهم والتفكير حقه فلا نتجاهله أو نزدرى به ، ونعطى لفاعلية الروح قدرها وكرامتها عن إيمان وتعقل وفهم .

فاذا طبقنا هذا الكلام على ما نراه من رؤى فى هذه الأيام* ، وجدنا أن الايمان يسير جنبا إلى جنب مع العقل والفهم . فبالايمان ، وباستلهام تاريخنا الأقدس ، وسير آبائنا القديسين ، نجد أن عصر الرؤى والمعجزات هو عصر بلا نهاية . يقول الرب « الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان تعملون الأعمال التى أعملها وأعظم منها » [يو ١٤ : ١٢] وهذا الوعد ، من ربنا له المجد ، هو وعد مفتوح وممتد إلى مجيئه الثانى .

أما العقل فيتضح دوره فى فحص العمل المعجزى وتقييمه فى حيدة ونزاهة، وفى غير تعصب لفكرة سابقة ربما تكون خاطئة . والرؤى لا تظهر بطريقة واحدة ولا فى وقت واحد فهى عمل سماوى فردى فى أساسه وإن أخذ أحيانا شكلا جماعيا .

فيما سمعناه مثلا وتحققنا من حدوثه قصة طبيب أمراض جلدية

(*) ظهرت رؤى منيرة أخرى فوق قبة الكاتدرائية الجديدة ، شاهدها نيافة الأنبا إغريغوريوس وآخرون ليلة السبت ١٨ مايو . كما تجلت العذراء مساء الأحد ١٩ مايو على النافذة القبلية بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بشارع عياد بك بشرا .

معروف . ويروى الواقعة بنفسه . كان عائدا بسيارته فى الطريق الصحراوى من الاسكندرية إلى القاهرة . وعند الـكيلو ٩٠ ، وأمام الاستراحة ، وهى منطقة سارت فيها العذراء عند عبورها إلى وادى النطرون ؛ فوجىء بسيدة واقفة فى ملابس يميل لونها إلى الزرقة الفاتحة السماوية وعليها غطاء رأس فى شكل الهالة . استأذنت منه فى وداعة أن تستقل السيارة معه لأن الوقت متأخر ولم تستطع اللحاق بالاتوبيس . فى الطريق سألته « لماذا تطعن فى العذراء وتشكك الناس فى ظهورها » ؟ ثم سألته فى هدوء « ألم يرها فلان وفلان » ؟ وعددت له أسماء يعرف أصحابها ... وحار الطبيب جوابا . وما ملك أمام هذا الهدوء سوى الصمت والتفكير .

ووصل بسيارته إلى ميدان التحرير ... فسأل السيدة إن كان يمكن توصيلها إلى منزلها لتفادى زحام المواصلات . فأخبرته أنها ذاهبة إلى كنيسة العذراء بالزيتون لتراها ... فعرض أن يوصلها فشكرته ...

وأمام الـكنيسة ، تحولت السيدة فجأة إلى حمامة بيضاء انطلقت من نافذة السيارة ... وذهل الطبيب وصرخ ... « العذراء كانت بسيارتى ... ركبت معى ... وأنا لا أعرف » !!

وكان ذلك خير رد على شكوكه ، وخير داع له بعد ذلك أن يبشر بمجد العذراء وكرامتها ...

وفى محافظة كبرى من محافظاتنا حدثت واقعتان مماثلتان . إحداها

مع رجل دين وزوجته مصابة بالسرطان وتمنت أن تذهب إلى الزيتون لتتبارك وتشفى ، لكنه كان يمنعها ، فظهرت لها العذراء وشفتها فعلا ثم ظهرت للرجل فتعهد أن ينشر الواقعة أينما وجد .

والواقعة الثانية مع أحد الكبراء ، اعتاد أن يطعن ويجرح ، كما كان يفعل صاحبنا الطبيب ،وإذ بالعذراء تظهر له وتعتب عليه تجريحه ، فيسألها « ومن أرانى أنك العذراء » فتجيبه بعلامة محسوسة عن شفاء قريب عزيز له من مرض ذكرته له . وصحا الرجل ووجد أن ما سمعه فى الحلم قد تحقق فعلا ...

فهل نقدر بعقلنا المحدود أن ننكر وقائع صارخة ومحسوسة يحكيها الذين حدثت معهم شخصيا ؟ ويحكونها دون غرض ؟ بأى حق وبأى سلطان نفعل هذا ؟ إنما يجب ألا نرتئى فوق حدودنا أو نتعداها . إن العقل يجب ألا يتعدى حدوده خاصة أمام شخصية كالعذراء تؤمن بها كل الأديان قاطبة فالمعجزة إذا حدثت كيف يجرؤ العقليون أن ينكروها أو يتحدوا وقوعها ؟ إنما يجب أن يتحول العقل هنا إلى طاقة شكر ، وتمجيد للقوة الأعلى ، وهتاف مع إرمياء : « أما أنت هو الرب إلهنا فنرجوك لأنك أنت صنعت كل هذه » [ار ١٤ : ٢٢]

* * *

بقيت فى هذه الخاتمة ملاحظة أخيرة : إن آباء هذا الجيل يجب أن يلتفتوا إلى حقيقة هامة : حقيقة التداخل المنحرف بين العقل والدين وفى غير ما سبب . لقد شك توما فرحب المسيح بالرد عليه لأن شكه كان طريقه إلى اليقين . أما الشك لذات الشك ، ودون استهداف اليقين كغاية فهو انحراف عقلى بلا مبرر .

ولعل مما يدعم إيمان هذا الجيل أن ينتبه إلى ضرورة الاستجابة لدعاء الكنيسة مع السيدة العذراء والقديسين ، والتوسل والتشفع بهم . إن الكنيسة تهيىء لنا حياة اللحن والسمو الوجدانى بالصلاة والفرح لنحيا معها بأرواحنا وعواطفنا ، ونسمو بأشواقنا وآمالنا ، ونتعمق فلسفتها وروحانيتها ، ونعيش مع طقوسها وآدابهـــا ، وندرس سير قديسيها وآبائها الذين كملوا فى الايمان ......

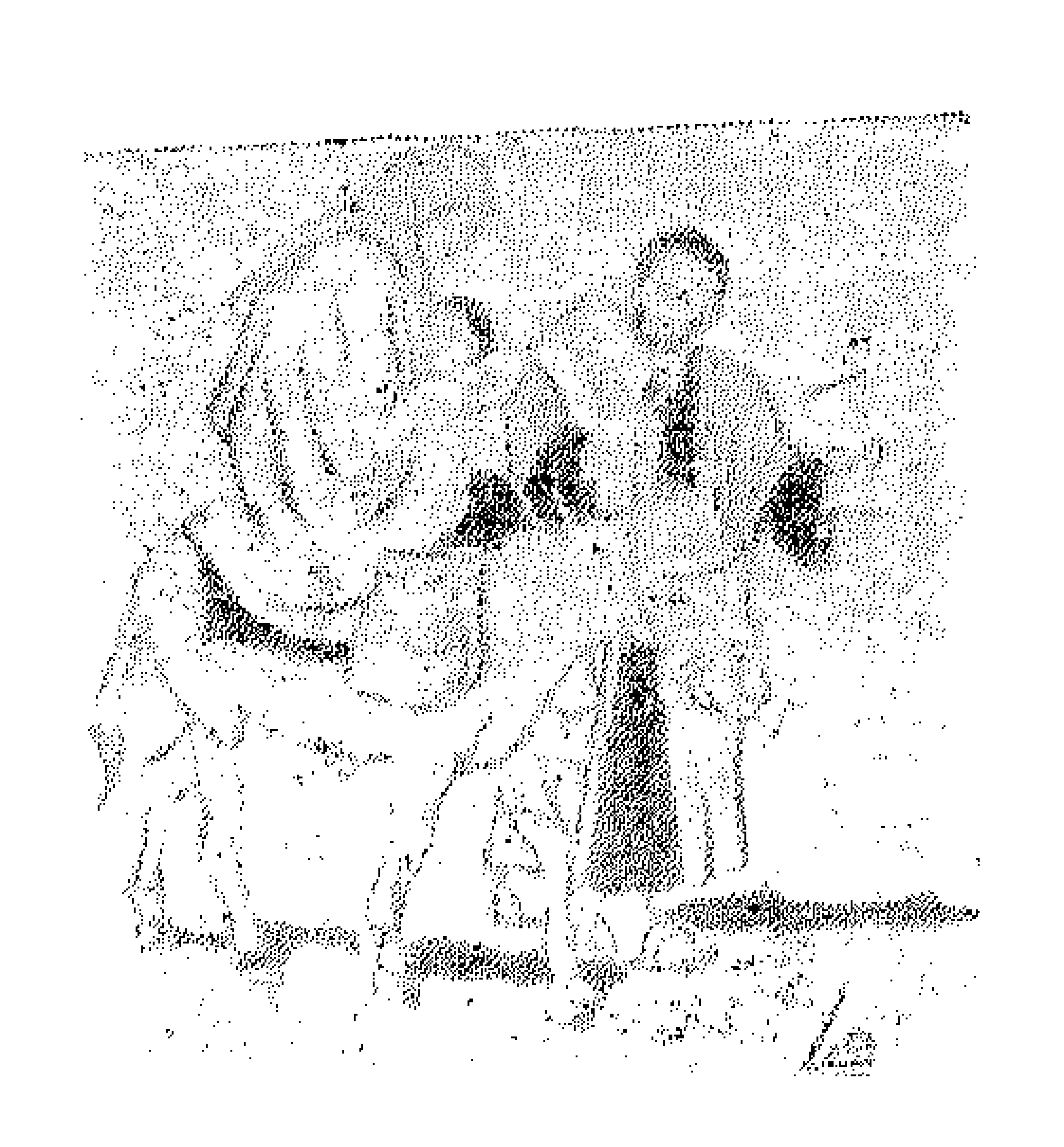
ألا فلتكن شفاعاتهم وبركاتهم معنا ، وأما أنت ياسيدتنا كلنا القديسة الكلية الطهر العذراء مريم فلا نجد خاتمة لكتابك المبارك هذا خيراً مما جاء فى إحدى تسابيح الكنيسة عنك :

« إن كل الأسماء العالية التى لغير المتجسدين ، إن ألوف الملائكة ورؤساء الملائكة ، لم يبلغوا عظمة طوباويتك أيتها المشتملة بمجد رب

الصباؤوت ، أنت مضيئة أكثر من الشاروبيم ؛ والسارافيم ذوو الستة أجنحة ، يرفرفون عليك بتهليل ...

فأنت بالحقيقة من أجل هذا صرت فخر جنسنا وشفيعة نفوسنا ؛ فاشفعى فينا أمام مخلصنا لكى يثبتنا فى الايمان المستقيم وينعم لنا بمغفرة خطايانا ، حتى نفوز برحمته بواسطة شفاعتك »

* * *



مصادر هذه الدراسة

اولا : الـكتاب المقدس .

ثانيا : مصادر كنسية :

الثلاثة قداسات .

الابصاليات والطروحات .

الأبصلمودية المقدسة السنوية .

التماجيد المقدسة للعذراء والملائكة

الدفنار .

ترتيب دورة عيدى الصليب والشعانين .

صلوات السواعى [الاجبنية]

ثالثا : مراجع حديثة : [مرتبة حسب صدورها تاريخياً]

— الشماس ميخائيل شحاته — مريم العذراء — الطبعة الثانية

الناشر : جمعية المحبة — سنة ١٩٣٤

— أنا غنوستيس وهيب عطالله — مقال عن « فضائل العذراء »

مجلة مدارس الأحد — السنة الأولى — العدد ٦ —

سبتمبر سنة ١٩٤٧

— القس بولس شنودة — رائحة البخور حول ذكرى أم النور — طهطا — ١٩٤٧ .

— سليمان نسيم — تاريخ التربية القبطية — الناشر : دار الكرنك — سنة ١٩٦٣

— حلمى أرمانيوس — العذراء مريم — تقديم ومراجعة القمص باخوم المحرقى [د. وهيب عطا الله] — الناشر : دار الكرنك — سنة ١٩٦٤

— ايريس حبيب المصرى — قصة الكنيسة القبطية (ج ١) — سنة ١٩٦٤ .

— الأب متى المسكين — العذراء القديسة مريم — الناشر : بيت التكريس بحلوان — نوفمبر سنة ١٩٦٧ .

— القس تادرس يعقوب — ظهور العذراء ومدلولاته الروحية — الناشر : كنيسة مار جرجس . اسبورتنج — مايو سنة ١٩٦٨ .

رابعا : دوريات .

أعداد جريدة وطنى من يوم الأحد ١٤ إبريل حتى الآن .

كتب أخرى للمؤلف

(ا) مجموعة قصص .

١ — صندوق توفير فى السماء ٢ — بالحقيقة قام ٣ — أمجاد الشهداء ٤ — قصة النيروز	الناشر . مكتبة المحبة

(ب) يوميات مدرس فى مدارس الأحد : للخدام

الناشر : مكتبة المحبة

(حـ) سلسلة قصص مرقص :

١ — أصدقاؤنا الطيور ٢ — كاسر الحجر	الناشر مكتبة مجلة مرقص

(ء) مجموعة قصص : روح وحياة [مجلد واحد] للشباب — أصدرتها مكتبة مدارس الأحد بالجيزة .

(هـ) دراسات فى التربية الروحية من خلال المفهوم الارثوذكسى :

١ — فى التربية المسيحية بالاشتراك مع الأستاذ كمال حبيب — الناشر — مكتبة مجلة مرقص — سنة ١٩٦٢ .

٢ — تاريخ التربية القبطية [موضوع رسالة الماجستير] — الناشر : دار الكرنك — سنة ١٩٦٣ .

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦



دار الجيل للطباعة ٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦